المملكة العربية السعودية

جامعة الملك فيصل بالإحساء

عمادة التعليم عن بعد

كتاب

الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

إهداء من

الأخ عبادي لأعضاء منتدى انتساب

الرياض – حي الروابي - شارع الإمام الشافعي
خدمات الانتساب والتعليم عن بعد
هاتف : ٤٤٥٠٢١٥ جوال :٠٥٤٤٠٨٩٩٤٤
www.mawrid.net

الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

تأليف:

الأستاذ الدكتور: عبد الله محمد نوري الديرشوي

جامعة الملك فيصل - كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

لا يخفى ما للأخلاق والقيم من أهمية في حياة الناس، سواءٌ في عصرنا هذا، أو في العصور السابقة واللاحقة. فالإنسان لَمْ ولنْ يستغنيَ عنها البتة؛ بل لا نعدو الحقيقة إنْ قلنا: إنها سِرُّ إنسانيته، وبقدر توافرها فيه يكون معنى الإنسانية فيه أتم وأظهر، حتى يصل إلى ذروة الكمال البشري، ويكون المثل الأعلى في الحياة، كما كان الشأن في الأنبياء والرسل.

والعكس أيضاً صحيحٌ، فبقدر تجرد المرء منها يكون معنى الإنسانية فيه أضعف، حتى يصل إلى الدرك الأسفل، ويكون شيطاناً في صورة إنسان، لا يقوم لجرائمه وإفساده شيء!.

وإذا كان هذا أثر الأخلاق في الأفراد، فإن أثره على الأمم لا يقل أهمية وخطورة أيضاً! إذ إن بقاء الأمم واستمرار الحضارات مرهون بالحق والعدل.

فبقدر ما يسود الحق والعدل والفضائل والقيم، يكون بقاء الأمة، واستمرار حضارتها، وبقدر اختفائها، يكون سرعة زوالها، واندثار حضارتها، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيتْ فإن هم ذَهَبَتْ أخلاقُهم ذهبوا

وإذا أدركنا هذه الحقيقة، علمنا السِّر الذي يجعل أعداء الإسلام يحرصون على غزو المجتمعات الإسلامية في أخلاقها وقيمها، ونشر التفسخ والرذيلة فيها، حيث يعتبرونه الطريق الأسهل والأسرع إلى النيل من وجودها وحضارتها ودينها.

وبالمقابل فإن علماء الأمة ودعاتها ومفكريها، والغيورين على كيانها وحضارتها ومستقبلها، يكرسون جهودهم في سبيل تحصين الأمة ضد تلك المخاطر بالحث على المزيد من التشبث بالأخلاق والقيم التي جاء بها ديننا الحنيف، وما هذا الكتاب إلا امتدادٌ لتلك الجهود الطيبة المباركة، وهويستهدف طلبة الجامعة بصفتهم الشريحة الأهم والأخطر في المجتمع.

وقد وزعته على أربع عشرة وحدة دراسية، هي:

الوحدة الأولى: تعريف الخلق وموضوعه وأقسامه ومكانته.

الوحدة الثانية: أسس الأخلاق في الإسلام.

الوحدة الثالثة: خصائص الأخلاق الإسلامية.

الوحدة الرابعة: وسائل اكتساب الأخلاق.

الوحدة الخامسة: الإلزام والمسؤولية والجزاء الأخلاقي.

الوحدة السادسة والسابعة: نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

الوحدة الثامنة: تعريف أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها.

الوحدة التاسعة: الأخلاق الجامعة للمهنة وخلق الطهارة المهنية.

الوحدة العاشرة: خلق الاستقامة المهنية.

الوحدة الحادية عشرة: خلق التعاون المهني.

الوحدة الثانية عشرة: خلق الأمانة المهنية.

الوحدة الثالثة عشر: خلق المحبة المهنية.

الوحدة الرابعة عشر: نماذج من مواثيق الشرف أو المهنة.

واللهَ عز وجل أسأل أن يجعله عملاً صالحاً متقبلاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين.

الوحدة الأولى

(تعريف الخُلُق، وموضوعه، وأقسامه، ومكانته في الإسلام)

أولاً: تعريف الخُلُق:

الخُلُق لغة: بضم الخاء واللام، الطبع والسجية[١]، أي ما جُبِل عليه الإنسان من الطَّبع، وجمعه أخلاقٌ.

وهو - أي الخُلُق - يمثل صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها، أو بتعبير آخر: الجانب المعنوي في شخصية الإنسان.

كما أن الخَلْق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، أو بتعبير آخر: الجانب المادي في شخصية الإنسان.

واصطلاحاً: حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكْرٍ و رَوِيَّةٍ[٢]، وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) مادة خلق. باب القاف، فصل الخاء. لسان العرب، القاموس المحيط.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣/ ٥٣، وقريب منه تعريف الجاحظ، وابن مسكويه. انظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه: ٤٠؛ نضرة النعيم للشيخ صالح ابن حميد: ١/ ٦١.

وقد يطلق الخُلُق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل[١]، وبهذا المعنى ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٢].

شرح التعريف: التعريف الأخير -نعني المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني- واضح لا لبس فيه، فالصدقُ والسخاءُ والرحمةُ والعدلُ وحبُ الخير للناس؛ جميعها أخلاقٌ حميدةٌ، وفضائلُ مُسلَّمةٌ، يسعى عُقلاء الناس للتحلي بها، وتربية أولادهم عليها.

وأما التعريف الأول فهو الذي يكتنفه بعض الغموض، ويحتاج إلى توضيح، فنقول في بيان ذلك:

قولهم : «حالٌ» أي هيئةٌ أو صفةٌ للنفس الإنسانية، وبهذا الاعتبار يقال: فلانٌ خلقه حميد، أي: الصفةُ التي في نفسه - وهي التي وراء تصرفاته السلوكية - حميدةٌ.

وقولهم: «راسخةٌ» أي: ثابتة بعمق، وهو ما يعني أنّ الأفعال تتكرر من صاحبها على نسقٍ واحدٍ حتى تصبح عادةً مستقرةً لديه، ومن ثمَّ كان مَنْ يُنفق المال مرةً أو مرتين أو ثلاثٍ على المحتاجين لا يوصف بخُلُق السخاء والجود، بل لابد من تكرره منه بحيث يصبح عادة له.

---

(١) انظر: نضرة النعيم: ١/ ٦٣.

(٢) مسند الإمام أحمد: رقم ٨٩٣٩، وهو حديث صحيح. انظر: التمهيد لابن عبد البر: ٢٤/ ٣٣٣-٣٣٤.

وقولهم: «من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ ورَوِيَّةٍ» أي من غير تَكَلُّفٍ أو مجاهدةِ نفس، بل بسهولة ويسر، وبطريقة تلقائية.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: «الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلانٌ حسنُ الخُلُق والخَلْق، أي: حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة، وذلك لأنّ الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدرك بالبصر، ومن روحٍ ونفسٍ مدركٍ بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئةٌ وصورةٌ: إمّا قبيحةٌ، وإمّا جميلةٌ، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه، إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢]، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد»[1].

(١) إحياء علوم الدين: ٣/ ٥٣.

ثانياً: موضوع علم الأخلاق:

ليس جميع ما يستقر في النفس من الصفات من قبيل الأخلاق؛ بل منها ما هو من قبيل الغرائز والدوافع ولا صلة لها بالخلق، وما يميز بين الاثنين هو: أنّ الأخلاق يبحث في الأحكام القيمية المتعلقة بالأعمال التي يمكن وصفها بالخير أو الشر، أو بالحُسن أو القُبح.

وأما الغرائز والدوافع فهي حاجات فطرية، جَبَلَ الله الإنسان عليها، كحاجته للأكل والشرب والزواج والنوم، وهذه لا تستوجب لصاحبها مدحاً أو ذماً، كما لا يترتب على إشباعها ثوابٌ أو عقابٌ.

فإنْ حصل ومُدِحَ الإنسانُ أو ذُمَّ على تعاطيه مع بعض تلك الغرائز أو الدوافع، كان المقصود ليس نفس الفعل، وإنما الطريقة التي اتبعها صاحبها في تلبية تلك الحاجة، أو إشباع تلك الرغبة، فمن يأكل لدفع الجوع عن نفسه لا يُمدح ولا يُذم على نفس فعل الأكل، وإنما يُمدح أو يُذمُّ على طريقته في الأكل، فإنْ أكل مثلاً مما يليه، وبهدوءٍ، ومضغ الطعام جيداً، وبدأ باسم الله، وانتهى بحمد الله، حُمِد على فعله هذا، وإنْ أكل بشراهةٍ، وأدخل اللقمةَ على اللقمة، وجالت يده في القصعة، ذُمَّ على فعله ذاك، وهكذا يقال في تعاطيه مع جميع الدوافع والغرائز من شراب ونكاح ونوم وحبٍ للمال والولد.

ثالثاً: أقسام الخلق:

يمكن تقسيم الخلق إلى قسمين اثنين باعتبارين مختلفين:

أولهما: باعتبار الفطرة والاكتساب، وينقسم إلى:

١ - أخلاقٌ فِطْرية:

جَبَلَ الله الإنسان عليها، أي أنها هبةٌ ومنحةٌ من الله تعالى، وليس للإنسان أي دور في اكتسابها، مثال ذلك ما جاء في حديث أشج عبد القيس - وكان وافدهم وقائدهم ورئيسهم وعبد القيس قبيلة - حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»، قال يا رَسُولَ اللهَّ: أنا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمْ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قال: «بَلْ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قال: اَلْحَمْدُ للهَّ الذي جَبَلَنِي على خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله وَرَسُولُهُ[1].

قال الإمام النووي: أما الأشج فاسمه المنذر بن عائذ،... وأما الحلم: فهو العقل، وأما الأناة: فهي التثبت وترك العجلة، ... وسبب قول النبى صلى الله عليه وسلم ذلك له ما جاء فى حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبى صلى الله عليه

(١) صحيح مسلم: باب الأمر بالإيمان باللهَّ تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدِّين رقم ١٨؛ سنن أبي داود: باب في قبلة الرَّجُلِ، رقم (٥٢٢٥)، مسند أحمد بن حنبل: رقم ١٧٨٢٨. واللفظ لأبي داود.

وسلم، فَقَرَّبَه النبى صلى الله عليه وسلم، وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم: تبايعون على أنفسكم وقومكم؟ فقال القوم: نعم، فقال: الأشج: يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشدَّ عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتَّبَعنا، كان مِنَّا، ومَنْ أبى قاتلناه، قال: صدقت، إن فيك خصلتين ...، الحديث .

قال القاضي عياض: فالأناة: تربصه حتى نظر فى مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذى قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب[١].

٢- أخلاقٌ مُكتسبة:

يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية، ومن خلال مجاهدته لنفسه، ومنه قول النبي ﷺ : «إنما العلم بالتعلم»[٢]، وفي حديثٍ آخر «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله»[٣].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١/ ١٨٩.
(٢) صحيح البخاري: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع، رقم ٦٧.
(٣) صحيح البخاري: باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم ١٣٦١.

ثانيهما: باعتبار القبول وعدمه شرعاً.

وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:

١-خلق محمود:

وهو حسن الأدب، وتنتج عنه أقوالٌ وأفعالٌ جميلةٌ عقلاً وشرعاً.

٢-خلق مذموم:

وهو سوء الأدب، وتنتج عنه أقوالٌ وأفعالٌ قبيحةٌ عقلاً وشرعاً.

رابعاً: مكانة الأخلاق في الإسلام:

تمثل الأخلاق جوهر رسالة الإسلام ، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من معنى.

فقد حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة، ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء، ثواباً وعقاباً، في الدنيا والآخرة، فالرسول ﷺ أخبرنا أنَّ «الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»[١]، وقال: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي دعتها تأكل من خشاش الأرض»[٢]، و«غفر الله لبغي في كلب سقته»[٣]، و«المرء يبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل، صائم النهار»[٤].

وبلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أنّ الله سبحانه حين أثنى على نبيه محمد ﷺ في القرآن الكريم اختار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليُعلمنا أنه لا أبلغ ولا أرفع من هذه الصفة، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٥٧٤٣.

(٢) صحيح البخاري: باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، رقم ٣١٤٠.

(٣) صحيح البخاري: باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم ٢٢٤٥.

(٤) مسند الإمام أحمد: رقم ٢٤٣٥٥؛ سنن أبي داود: باب حسن الخلق، رقم ٤٧٩٨. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

وجعل الرسول ﷺ الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين، فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، ولعله يشير بذلك إلى أنه ﷺ كان المتمم والمكمل لرسالات من سبقوه من الأنبياء عليهم السلام، وما بعثوا به من القيم والفضائل، كما أخبر بذلك ﷺ فقال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ، قال: (فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[(١)].

وحسن الخلق من أكثر الوسائل التي توصل المرء إلى الفوز بمحبة الله ورسوله، والظفر بقربه يوم القيامة، حيث يقول ﷺ: «إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إلي وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم الْقِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا»[(٢)]، ولما سئل «مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إلى اللهِ؟ أجاب: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(٣)].

هذا من حيث مكانة الأخلاق وأهميتها بصورة عامة.

وأما من حيث مكانة الأخلاق بين علوم الشرع فإن كثيراً من الباحثين المعاصرين يقسمون ما جاء به الإسلام من تشريعات وأحكام إلى شعب أربعة: عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وربما قسمها

---

(١) صحيح البخاري: باب خاتم النبيين، رقم ٣٣٤٢.

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم ٢٠١٨. وقال: حديث حسن غريب. إلا أن للحديث روايات أخرى متعددة. انظر: فتح الباري: ٩/ ٦٣.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: رقم ٤٧١. وهو حديث صحيح. انظر: الترغيب والترهيب: ٣/ ٢٧٤ رقم ٤٠٢٥؛ وفيض القدير للمناوي: ١/ ١٧٤.

بعضهم إلى ثلاث شعب فدمجوا بين العبادات والمعاملات تحت اسم الشريعة، فقالوا: عقيدة، وشريعة، وأخلاق.

وكلا التقسيمين إنما يصح بالنظر إلى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع، وإلا فعند التأمل وإنعام النظر نجد أنّ هذه الشعب الثلاث أو الأربع لا تنفك عن بعضها، وأنها متداخلة متعاضدة كالبنيان يشد بعضها بعضاً، فالأخلاق لا تنفك عن العقيدة والعبادات والمعاملات، وفي نفس درجتها ومستواها من الأهمية.

ففي باب **العقائد**: نجد أنّ الإسلام يربط بين الإيمان والأخلاق ربطاً محكماً فيجعل حسن الخُلق علامة كمال الإيمان والتفاضل فيه، فيقول ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1]، ويضفي على التوحيد صبغة خُلُقية، فيعتبره من باب: العدل، وهو فضيلة خلقية، كما يعتبر الشرك من باب: الظلم، وهو رذيلة خلقية، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وذاك لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وتوجه بها إلى من لا يستحقها، بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل أنواعه ظلماً، فقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وفي باب **العبادات**: نجد أن الكبرى منها ذات أهداف أخلاقية منصوص عليها بجلاء:

---

(١) سنن أبي داود: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم ٤٦٨٢؛ سنن الترمذي: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١١٦٢. وقال حديث حسن صحيح.

فالصلاة وهي العبادة الأهم في حياة المسلم، لها وظيفة سامية في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والزكاة وهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية، وسيلة لتطهير وتزكية النفس، وهما من الأهمية بمكان في عالم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصيام إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها، وإدخال صاحبها في سلك المتقين، والتقوى جماع الأخلاق الإسلامية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحج تدريب للمسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة، وضبط الجوارح، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧].

وفي مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواءٌ في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك.

ففي مجال الإنتاج يجب أن تكون السلعة المنتجة نافعة مفيدة، وأما ما كان ضاراً بالناس أو مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيجلب لصاحبه من أرباح ماديةٍ، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وفي مجال التبادل يحرم الإسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب، وإنفاق السلعة بالحلف، واستغلال حاجة الآخرين أو استغلال بساطتهم أو طيشهم لخداعهم ففي الحديث: «لا يحتكر إلا خاطئ»[(١)]، أي آثم، وفيه أيضاً: «مَنْ غشنا، فليس مِنَّا»[(٢)]، وفيه: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسلعة، مَمْحَقةٌ للربح»[(٣)].

وفي مجال الملكية، لا يحل للمسلم تملك ثروةٍ من طريق خبيث، ولا يحل له أن يأخذ ما ليس له بحق كأن يأخذه بالعدوان أو الحيلة، ولا يجوز له تنمية ملكه بطريق محرمة، ومن ثَمَّ حرم الله الربا والقمار والرشوة، وكل ما يعد من قبيل أكل المال بالباطل، وحرم كذلك الظلم بكل صوره وأشكاله، والضَّرر والضِّرار بكل ألوانه.

وفي مجال التوزيع أمر بالعدل بين الأولاد في العطية فقال ﷺ: «اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بين أَوْلَادِكُمْ»[(٤)]، كما وضع نظاماً دقيقاً في توزيع الميراث،

(١) صحيح مسلم: باب تحريم الاحتكار في الأقوات، رقم ١٦٠٥.
(٢) صحيح مسلم: باب قول النبي من غشنا فليس منا، رقم ١٠١.
(٣) صحيح مسلم: باب النهي عن الحلف في البيع، رقم ١٦٠٦.
(٤) صحيح البخاري: باب الإشهاد في الهبة، رقم ٢٤٤٧.

والصدقات المفروضة، والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال.

وفي مجال الاستهلاك والإنفاق أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط، والابتعاد عن الترف، والتبذير والإسراف والتقتير. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ومن هذا الباب تحريم الإسلام لاستعمال أواني الذهب والفضة مطلقاً، وكذا تحريمه لبس الذهب والحرير على الرجال.

وفي مجال السياسة ربط الإسلام السياسة بالأخلاق، فرفض كل الأساليب القذرة للوصول إلى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة، ورفض مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وبنى سياسته على الصدق والرحمة والعدل والإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات، وفرض احترام الاتفاقات، والوفاء بالعهود، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وفي مجال الحرب لم تنفصل سياسة الإسلام عن الأخلاق، بل بقيت كما في السِّلْم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء. قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال جل في علاه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، وجعل الإسلام الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله، والانتصار للحق والخير، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٧٦].

وفي السنة أن النبي ﷺ كان إذا أَمَّرَ أَمِيراً على جَيْشٍ أو سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهَّ وَمَنْ معه من الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ثُمَّ قال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهَّ في سَبِيلِ اللهَّ، قَاتِلُوا من كَفَرَ بِاللهَّ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا ولا تَمْثُلُوا ولا تَقْتُلُوا وَلِيداً»[1]، وكذلك كان يفعل الخلفاء الراشدون المهديون من بعده، فقد كانوا يوصون قوادهم وأمراءهم عند تسيير الجيوش بتقوى الله، وعدم قتل غير المحارب، وعدم الإفساد والإضرار بالممتلكات، من ذلك ما جاء في وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان حين بعث جيوشاً إلى الشام، فقد خرج يتبعه ويوصيه، فكان مما قال: «إني أوصيك بعشر؛ لا تَقْتُلَنَّ صبياً، ولا امرأةً ولا كبيراً هرماً، ولا تَقْطَعَنَّ شجراً مثمراً، ولا تَخْربن عامراً، ولا تَعْقرنَّ شاةً ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ، ولا تَغْرقنَّ نخلاً ولا تحرقنَّه، ولا تَغْلُلْ ولا تَجْبنْ»[2].

---

(١) صحيح مسلم: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم ١٧٣١.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة: من ينهى عن قتله في دار الحرب، رقم ٣٣١٢١. وهناك آثار أخرى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في النهي عن قتل الرهبان والخدم والأجراء، والأمر بالرفق

وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يمكن للمسلم أن يعيشها بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية، وهذا الذي ذكرناه ما هو إلا غيض من فيض.

بالفلاحين. انظر نفس المرجع: ٣٣١١٩-٣٣١٣٦؛ والسنن الكبرى للبيهقي: باب ترك قتل من لا قتال فيه، رقم ١٩٧٢٩-١٩٧٣٩.

الوحدة الثانية

(أُسس الأخلاق في الإسلام)

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على أربعة أسس هي: الأساس الاعتقادي، والأساس الواقعي، والأساس العلمي، ومراعاة الطبيعة الإنسانية[١].

أولاً: الأساس الاعتقادي:

يتمثل الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي:

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى، وبأنه خالق الكون. وخالق الإنسان. وخالق الموت والحياة، والإيمان بأنه تعالى قد أحاط بكل شيءٍ علماً، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما يدور في خلجات النفس من خيرٍ أو شر، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

الركن الثاني: الإيمان بأن الله عز وجل منذ أن أوجد الإنسان فوق هذه البسيطة هداهم لمعرفته، وعرفهم بطريق الخير والشر، والحق والباطل، من خلال الرسالات السماوية التي أرسلها للبشر. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ

(١) انظر هذه الأسس بتوسع في كتاب: علم الأخلاق الإسلامية للدكتور مقداد يالجن: ١٢٤-٢٠٧.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس:٨].

كما أنّ الله سبحانه وهب الإنسان العقل والفطرة، وأوجد فيه القوة والقدرة على إدراك تلك الحقائق، من معرفة الله، ومعرفة الحق، ومعرفة الخير والشر.

ومن ثَمَّ جاء تكليفهم باتباع الحق والخير، واجتناب الشر والباطل، وإدراك ما عليهم من واجبات تجاه خالقهم، وتجاه المخلوقات الأخرى، وكذلك معرفة ما هو محرم عليهم، ومطلوب منهم اجتنابه.

الركن الثالث: الإيمان بالحياة الأخرى، وأنها إمّا نعيم، وإمَا جحيم، والنعيم لمن اتبع الحق، وأقدم على فعل الخير، واجتناب الشر، والجحيم لمن اتبع الباطل، وارتكب ما حرم الله.

وكلاهما يكون بعد حساب دقيق بين يدي الخالق عز وجل يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس:١٢]، وقال جل جلاله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزَّلزلة:٧-٨].

إذن؛ فهذه الحياة ميدان عمل واختبار للإنسان. قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢]، والحياة الأخرى للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ

لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

أهمية الأساس الاعتقادي:

هذا الأساس الاعتقادي بهذا المفهوم -المعتمد على الإيمان بالله، وبرسالاته، وبالحياة الأخرى، والحساب- في غاية الأهمية، بل إنه السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الأخلاقي الإسلامي، وفي عملية الالتزام به.

ومن غير هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها، وتأثيرها في الإنسان. بل يستحيل أن تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن، ثم بقدر تمكن هذا الأساس في قلب المؤمن، ورسوخه فيه، وإيمانه الصادق به، يكون الامتثال والتحلي بتلك الفضائل والقيم.

وليس هذا أساسٌ للسلوك الأخلاقي فحسب، بل كذلك للحياة كلها؛ ومن غيره لا يكون للحياة معنى في الحقيقة.

ودليل ذلك ما نلحظه في سلوك الوجوديين وأمثالهم من الملاحدة -الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر- حيث القلق والحيرة والاضطراب يستبد بأعماق قلوبهم، وبتفكيرهم. وأما المؤمن فهو في طمأنينة ورضا، مهما واجهته من المصائب والمشاكل، وبقدر زيادة إيمانه، وتمكنه من قلبه، يكون شعوره بالرضا أعظم، وتسليمه بقضاء الله وقدره أتم.

والسر في ذلك هو أنّ في طبيعة الحياة الإنسانية جانباً لا يملؤه إلا الإيمان؛ فمن انعدم لديه الإيمان عانى من الفراغ في هذا الجانب، فأحس بالقلق والاضطراب.

وإنّ مما يؤكد ما سبق أن أولئك الناس -من غير المؤمنين- لا يعانون فقراً أو حرماناً أو مرضاً! وإنما يعانون من فقدان الطمأنينة التي تجلبها العقيدة الصحيحة، والإيمان القويم.

إنّ اعتماد الأخلاق على هذا الأساس العقدي، يضفي عليها طابعاً مميزاً من القداسة والاحترام، ويوقظ في صاحبه الوازع الديني -أو ما يسمى بالضمير- ويجعله أكثر استجابة لفعل الخير، وهذا ما يقر به الدكتور ألكسيس كاريل حيث يقول: «الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً، وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة، ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق، إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية»[1].

(١) علم الأخلاق الإسلامية للدكتور ياجن: ١٢٨-١٢٩. وقد نقله عن كتابه تأملات في سلوك الإنسان. ترجمة د. محمد القصاص: ١٤٠.

ثانياً : الأساس الواقعي:

دعا الإسلام إلى المثالية والسمو الروحي، وذم الذين أخلدوا إلى الأرض وشهواتها، إلا أن دعوته إلى المثالية هذه كانت واقعية في نفس الوقت، وكانت وسطاً بين نظرتين متطرفتين. والنظرتان المتطرفتان هما:

١-الدعوات الروحية التي تدعو الإنسان إلى مجابهة الطبيعة والاستعلاء عليها، مهما كانت الضغوطات التي تواجهه في الحياة شديدة، وذلك لأنه بهذا الاستعلاء وبهذه المجابهة، يحقق لنفسه السعادة المنشودة والسمو الروحي الذي يطمح إليه.

٢-الدعوات المادية -أو دعوات الطبيعيين- والتي تدعو إلى الاستسلام للطبيعة، والاستجابة لها، لأن سعادة الإنسان -من وجهة نظرهم- إنما تتحقق من خلال هذه الاستجابة، والإخلاد إلى الأرض، ومن ثمَّ فإنهم يتجاهلون متطلبات الروح.

وأما الإسلام فكان موقفه من الطبيعة وسطاً معتدلاً بين هاتين النظرتين، وقد تجلى ذلك في:

أ- دعوته الإنسان إلى أن يكون سيداً على نفسه، فيضبط ميوله ورغباته ويوجهها وفقاً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام، وأن يكون كذلك سيداً على الطبيعة، فيسخر مواردها في عمران الأرض، ونفع العباد. كما قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[هود:٦١].

ب- دعوته إلى التأقلم والانسجام مع الطبيعة ومع الواقع، وعدم التصادم معها؛ وذلك عن طريق اتخاذ قواعد للسلوك تنسجم تمام الانسجام مع القوانين الأساسية للحياة البشرية، وهو ما سنتناوله في الفقرة التالية.

ثالثاً : الأساس العلمي:

ونعني به القوانين الأساسية للحياة البشرية، والتي أقام الإسلام نظامه الأخلاقي عليها وهي: (قانون المحافظة على الحياة، وقانون تكاثر النوع الإنساني، وقانون الارتقاء العقلي والروحي).

وفيما يلي نتناول هذه القوانين بشيء من التفصيل.

القانون الأول: قانون المحافظة على الحياة:

ونعني به أن الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقياً مشروعاً ومطلوباً، كما أنه اعتبر كل سلوك يضاد الحياة، أو يعوقها بصورة من الصور، سلوكاً غير أخلاقي، ومن ثمَّ فهو مرفوضٌ ومحرم.

ومن هنا كان القتل حراماً؛ لأنه سلوكٌ غير أخلاقي، وكذا تهديد الآخرين وإخافتهم، أو التحاسد والتباغض والتدابر، كلها محرماتٍ، ويعتبر سلوكاً غير أخلاقي.

فالإسلام جاء بتشريع كل ما من شأنه احترام حياة الناس، والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم، والسعي لتحقيق ما فيه نفعهم.

القانون الثاني: تكاثر النوع الإنساني:

ونعني به أن الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع الإنساني وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً ومطلوباً، ومن ثمَّ شرع الزواج، وحث عليه، ونهى عن التبتل أو الرهبانية، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)]، كما حث على حسن اختيار الزوجة، فقال صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»[(٢)]، وحث الآباء على تزويج بناتهم من أناس صالحين، ذوي دين وخلق فقال صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٧٧٨؛ صحيح مسلم، رقم ٢٥٦٦. واللفظ للبخاري.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء: رقم١٩٦٤؛ سنن الدار قطني، كتاب النكاح، باب المهر: رقم ٣٣١٨؛ السنن الكبرى للبيهقي، باب اعتبار الكفاءة: رقم ١٢٨٥٥، وهو حديث صحيح.

وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد»[١].

كما أنّ الإسلام – من جهة أخرى– منع كل سلوكٍ من شأنه أن يحدَّ أو يعوق استمرار التناسل، كالرهبانية أو الخِصاء، لما فيه من المنافاة مع بقاء النوع الإنساني وتكاثره. ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك»[٢].

القانون الثالث: الارتقاء العقلي والروحي:

ونعني به أن الإسلام اعتبر كل سلوكٍ من شأنه أن يؤدي إلى السعادة، والإقبال على الحياة بمحبة وانشراح، وينمي العقل، ويحافظ عليه، سلوكاً أخلاقياً راقياً.

كما أنه اعتبر –من جهة أخرى– كل سلوك يضاد الحياة السعيدة، أو يضاد العقل، بأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس، أو متشائماً قلقاً، أو يضر بعقله، أو يجعله مريضاً، أو مستسلماً للجهل والخرافات، فإنها جميعاً تعدُّ سلوكاً غير أخلاقي.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه: رقم١٠٤١؛ السنن الكبرى للبيهقي، باب الترغيب في التزويج من ذي الدين والخلق المرضي :رقم ١٢٦٠٥،وهو حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، باب تزويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام: رقم ٤٧٨٦.

ومن ثَمَّ فقد حث الإسلام على العلم، وصلة الرحم، ومحبة الآخرين، والرحمة بهم، والرضا بقضاء الله وقدره. ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]، وفي آخر: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»[٢]، فيتلقى المصائب بالرضا بقضاء الله، والتسليم لأمره، وأن ذلك هو الخير، وأن الحكمة كل الحكمة فيه، ولو خفي عليه وجه ذلك، فيحيا حياة سعيدة، وهذا ما لا يكون إلا للمؤمن.

كما حرم الإسلام الانتحار، وتعاطي المسكرات والمخدرات، وما من شأنه أن يضر الإنسان في بدنه أو عقله. قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩٠-٩١]، ومثل هذه النصوص كثيرة جداً.

وعليه فإن الإسلام يعد الخروج على القوانين تعدياً وخروجاً عن جادة الحياة المستقيمة.

---

(١) صحيح البخاري، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه: رقم ١٣.
(٢) صحيح مسلم، باب المؤمن أمره كله خير: رقم ٥٤٢٩.

رابعاً: مراعاة الطبيعة الإنسانية:

وهذا هو الأساس الرابع الذي يبني الإسلام نظامه الأخلاقي عليه، ونعني به أن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روحٌ وجسدٌ، وعقلٌ وشهوةٌ، وقلبٌ ومشاعرُ وعواطفُ، وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خُلق منه، فينساق للأهواء والشهوات، وروحه العلوية التي هي من نفخ الإله، وتدعوه إلى السمو والرقي والمثالية.

ومن ثَمَّ فقد وضع الإسلام نظاماً دقيقاً للتنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان، ووجهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته المخلوق الذي كرمه الله، وبصفته الكائن الأشرف على ظهر هذه البسيطة، وبصفته من أتباع خاتمة الرسالات السماوية.

ولا يخفى أهمية هذا الأساس في الدراسات الأخلاقية، لما بين سلوك الإنسان، وطبيعته التي جبله الله عليها من صلة وثيقة، ولأن نجاح أي نظام أخلاقي يتوقف على مدى انسجامه مع واقع هذه الطبيعة البشرية.

الوحدة الثالثة

(خصائص الأخلاق الإسلامية)

تمتاز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية، وتعطيها وجودها وطابعها المتفرد والمستقل، وهي:

أولاً: الانبثاق عن عقيدة الإسلام:

الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً؛ بحيث يستحيل الفصل بينهما، والنصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق كثيرة جداً؛ حتى إنها لتجعل الإيمان، هو نفسه حسن الخُلُق، وذلك لأن حسن الخلق يقتضي أول ما يقتضي شُكر المنْعِم (الإله)، والاعتراف بفضله، والثناء عليه، والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. وأما التمرد على أوامره ونواهيه، فهو أعظم العقوق، وأفحش الخُلق، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه، وهي بجملتها ثمرة حُسْن الخلق، وسوء الخلق، فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ١-٨]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٧] من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده، وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ»[1]. وقال: «لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، وقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»..»[3].

ويقول الداعية المعاصر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: «الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثمَّ فإن الله عندما يدعو عباده إلى خيرٍ، أو يُنفرهم من شرٍ، يجعل ذلك مقتضى الإيمان

(١) صحيح البخاري: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم ٥٦٧٢.
(٢) صحيح البخاري: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣.
(٣) إحياء علوم الدين: ٤/ ١٠٠.

المستقر في قلوبهم. وما أكثر ما يقول في كتابه: (يا أيها الذين آمنوا) ثم يذكر بعدُ ما يُكلفهم به، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠] ...، وقد وضح صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن الإيمانَ القوي، يَلِدُ الخُلُقَ القويَّ حَتْماً، وأن انهيار الأخلاق مَرَدُّهُ إلى ضَعف الإيمان، أو فُقدانه، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته... فالرجلُ الصفيقُ الوجه، المعوجُ السلوك، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، يقول رسول الإسلام في وصف حاله: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[١]!.

والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكماً قاسياً، فيقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : «والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يا رَسُولَ اللهَّ قال الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه»[٢]، وتجد الرسول صلى الله عليه وسلمَ عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة والهذر ... وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وكماله..»[٣].

---

(١) صحيح الأدب المفرد: ١/ ٤٩٩ رقم ٩٩١؛ صحيح الجامع الصغير للألباني: رقم ١٦٠٣.
(٢) صحيح البخاري: باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم ٥٦٧٠.
(٣) خلق المسلم: ٩-١٠.

إذاً فالدين هو مصدر الأخلاق الفاضلة، وهو الرقيب عليها، وهو المقوِّم لها إذا انحرفت، والدين والأخلاق متلازمان لإقامة أية مدنية فاضلة يطمح إليها الإنسان.

ثانياً: الشمول:

تتنوع الأخلاق الإسلامية وتتسع لتشمل جميع المجالات، ومن هذه المجالات:

١-خُلُق مع الله ومع النبي عليه الصلاة والسلام: وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين أن خُلُق المسلم مع الله ومع النبي عليه الصلاة والسلام يتمثل في السمع والطاعة، والتسليم والرضا بما جاء به. من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[النور:٥١]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحجرات: ١]، وكذلك تعظيم شعائر الله بتعظيم كتابه، وتعظيم بيوته، وتعظيم حرماته، والنصح لله ولكتابه ولرسوله، عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(١)]، وتعني أن عماد أمر الدين النصيحة، وتكون النصيحة لله بتقديم حقه على حق الناس، ولكتابه بتعلمه وتعليمه، وتفهم معانيه، والعمل بما فيه، والدفاع عنه، ولرسوله بتعظيمه

(١) صحيح مسلم: باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ٥٥.

ونصرة دينه، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه[١].

٢-خُلُق مع أولياء الأمور: ويتمثل في طاعة أوامرهم في المعروف، وبذل النصح لهم. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩]، وكما في رأينا الحديث السابق أن من الدين: النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وتعني إعانتهم على ما حملوا القيام به من المسؤوليات، وتنبيههم عند الغفلة، وجمع الكلمة عليهم، ودفعهم عن الظلم بأحسن أسلوب وألطف عبارة[٢].

٣-خُلُق مع عامة المسلمين: النصوص في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع المسلم، من الأخوة والإيثار والنصح والمحبة والتعاون والنصرة والولاية أكثر من أن تحصى. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[٣]، وكما في الحديث السابق أن من الدين: النَّصيحَةُ لعامة المسلمينَ، وتعني الشفقة عليهم، والسعي فيما ينفعهم، وكف الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه[٤].

---

(١) فتح الباري: ١/ ١٣٨؛ شرح السنة للبغوي: ١٣/ ٩٤.
(٢) فتح الباري: ١/ ١٣٨؛ شرح السنة للبغوي: ١٣/ ٩٤.
(٣) صحيح مسلم: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم ٢٥٦٤.
(٤) فتح الباري: ١/ ١٣٨؛ شرح السنة للبغوي: ١٣/ ٩٤.

٤-خُلُق مع غير المسلم: وردت نصوص عديدة تبين ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع غير المسلم من العدل والإحسان وحسن المعاملة، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ»(١).

والمعاهَد من يعيش في كنف المجتمع المسلم مسالماً.

٥-خلق مع الكبير والصغير: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»(٢)، وقوله: (ليس منا) يدل على عِظم وخطورة هذه الجريمة الأخلاقية. فهو ليس على أخلاق المسلمين، ولا على نهجهم ومسلكهم في الحياة، وإذا لم يكن على أخلاق المسلمين ومسلكهم، فليحذر من عاقبة أمره، والطريق الذي اختاره لنفسه.

وهناك خُلُق مع الوالدين، ومع الأبناء والبنات، ومع الزوج والقرابة، ومع الضيف والمعلم والصديق، ومع البهائم والجمادات ... وهكذا.

يقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: «قد تكون لكل دين شعائر خاصة به، تعتبر سمات مميزة له. ولا شك أن في الإسلام

(١) سنن أبي داود: باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم ٣٠٥٢.
(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم ١٩١٩.

طاعات معينة، ألزم بها أتباعه، وتعتبر فيما بينهم أموراً مقررة لا صلة لغيرهم بها، غير أن التعاليم الخُلُقية ليست من هذا القبيل؛ فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة، فالصدق واجب على المسلم مع المسلم وغيره، والسماحة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم.. الخ. وقد أمر القرآن الكريم ألا نتورط مع اليهود أو النصارى في مجادلات تهيج الخصومات ولا تجدي الأديان شيئاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٦]، واستغرب من أتباع موسى وعيسى أن يشتبكوا مع المسلمين في منازعات من هذا النوع الحاد: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾[البقرة:١٣٩]، وحدث أن يهودياً كان له دَيْنٌ على النبي، فجاء يتقاضاه قائلاً: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل!! فرأى عمر بن الخطاب أن يُؤدب هذا المتطاول على مقام الرسول، وهَمَّ بسيفه يبغي قتله. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أسكت عمر قائلاً: «أنا وهو أولى منك بغير هذا، تأمره بحُسن التقاضي، وتأمرني بحُسن الأداء»[1]، وقد أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر، قال عليه الصلاة والسلام: «دعوة المظلوم مُستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على

(١) المستدرك للحاكم: ٢/ ٣٧ رقم ٢٢٣٧. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

نفسه»[١]، وبهذه النصوص، مَنع الإسلام أبناءه أن يقترفوا أية إساءة نحو مخالفيهم في الدين.

ومن آيات حسن الخلق مع أهل الأديان الأخرى ما ورد عن ابن عمر: أنه ذبحت له شاة في أهله ؟ فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢]...

ويؤكد هذه الحقيقة حديث الرسول لقومه وعشيرته، فقد رشحتهم مكانتهم في جزيرة العرب لسيادتها، وتولي مقاليد الحكم بها، ولكن النبي أفهمهم ألا دوام لملكهم إلا بالخُلُق وحده... ومن أقوال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»[٣].

إنّ الخلق في منابع الإسلام الأولى من كتاب وسنة هو الدين كله، وهو الدنيا كلها»[٤].

---

(١) المسند للإمام أحمد: رقم ٨٧٩٥. وإسناده حسن. انظر: فتح الباري: ٣/ ٣٦٠.

(٢) صحيح البخاري: باب الوصاءة بالجار، رقم ٥٦٦٩؛ سنن أبي داود: باب في حق الجوار، رقم ٥١٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٢٨/ ١٤٦.

(٤) خلق المسلم: ٣١-٣٣.

إذاً فميدان الأخلاق في الإسلام يشمل البيت والمدرسة والسوق والمسجد والمصنع والمتجر، وساحات الحرب، وميادين السياسة، والقريب والبعيد.

ثالثاً: الثبات:

يُقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بالنظام العام للشريعة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم مهما تطورت الحياة وتقدم العلم، بل تظل قيماً فاضلة ثابتة، لا تتغير ولا تتأثر بتغير الظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية. ولعل السبب الذي يجعل هذه الأخلاق ثابتة هو:

١-أنها مرتبطة بالفطرة البشرية، وهي تتصف بالثبات، كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»[(١)].

غير أن ذلك وحده لا يكفي، فكم من الأمور التي هي في أصلها نابعة من الفطرة إلا أنها تغيرت وانحرفت بفعل الأهواء والمصالح! ومن هنا جاءت أهمية السبب الآخر.

٢- كونها نابعة من الدين الذي هو من عند الله سبحانه وتعالى، وهو أعلم بما يصلح شأن الإنسان ويحقق له السعادة والخير. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]، والدين بمثابة السياج الذي يحافظ على متطلبات الفطرة، ويعزز وجودها، ويحميها من الانحراف.

---

(١) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣١٩.

ويترتب على خاصية الثبات هذه أن الأخلاق مختلفة عن التقاليد؛ لأن التقاليد تتغير بين الفينة والأخرى، بتغير مسوغات وجودها، وليس كذلك الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.

رابعاً: الجمع بين الواقعية والمثالية:

فأمّا كون الأخلاق في الإسلام واقعية فتعني أنها؛ عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد تطبيقها وتجسيدها في حياته.

وأما كونها في الوقت ذاته مثاليةً أيضاً فتعني أن في الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور، ولا يرضى لنفسه بأن يكون كعامة الناس. فهو أبداً يتوق إلى المعالي، وله نفسٌ أبيةٌ تسعى دائماً للتحلي بالفضائل والقيم السامية، ففسح الشرع في ذلك.

فإذاً الإسلام راعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك، ولم يحمل الناس على ما لا يطيقون، أو ما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه. ومن ثَمَّ فقد شرع العدل، بأن يصل كل ذي حق إلى حقه، غير أنه حثَّه في الوقت ذاته على الإحسان، بأن يصفح ويتجاوز ويضحي، وهي مرتبة فوق العدل.

قال تعالى في تقرير قاعدة العدل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، وقال جل جلاله في تقرير مبدأ المثالية والإحسان: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشُّورى:٤٠]، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ

عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل:١٢٦].

والأخلاق الإسلامية في هذا يختلف عن الدعوات المثالية التي نادى بها بعض الفلاسفة من أمثال أفلاطون في كتابه الجمهورية الفاضلة، إذ إنها مما لا يطيقها معظم الناس، ولا تستقيم معها حياتهم، وسرعان ما يملونها، وتسأم من فعلها نفوسهم لما فيها من تكلف شديد. قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن:١٦]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»[1].

خامساً: الوسطية:

وتعني أن الأخلاق الإسلامية وسطٌ بين طرفين متضادين. وتتجلى هذه الوسطية والاعتدال في تلبيته لمختلف حاجات الإنسان ورغباته ولكن بعد ضبطها بما يحافظ عليها ويبقيها ضمن دائرة النفع والخير. من ذلك على سبيل المثال:

١-الحكمة: فقد اعتبرها الإسلام فضيلة مطلوبة، وتأتي بين رذيلتين منكرتين، هما: الخِبُّ والبَلَه، قال تعالى في الثناء على الحكمة: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[البقرة:٢٦٩]، والخِبُّ هو: المبالغة في

(١) صحيح البخاري: باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم ١١٠٠.

الاتصاف بالمكر والحيلة وسوء الظن، والبله هو: المبالغة في السذاجة والسفه.

٢-السخاء: وهو خلقٌ كريمٌ ويقع بين رذيلتين، هما: الإسراف، والتقتير. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩)، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[الفرقان: ٦٧].

٣- الشجاعة، وهي خلقٌ كريمٌ ووسطٌ بين رذيلتين هما: التهور، والجبن. والتهور هو: الزيادة في الإقدام على الأمور المحظورة التي يوجب العقل الإحجام عنها. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والجبن هو: المبالغة في الخوف والحذر بما تأباه الرجولة والمروءة. قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة: ٨٧].

٤- العفة، وهي خلقٌ كريمٌ، وتأتي وسطاً بين رذيلتي الشره، والخمود، والشره هو: المبالغة في طلب الشهوة واللذات. والخمود هو: قصور الشهوة عن دفعه نحو تحصيل أسبابها.

٥- الحياء، وهو خلقٌ كريمٌ، ويأتي وسطاً بين رذيلتي الوقاحة أو صفاقة الوجه من جهة، والخور والمهانة من جهة أخرى.

٦- التواضع، وهو خلقٌ كريمٌ، ويأتي وسطاً بين رذيلتي الكِبْر والعلو من جهة، والذِّلة والحقارة من جهة أخرى.

وهكذا فما من صفة أخلاقية جاء بها الإسلام أو أقرها، إلا ونجدها وسطاً تستجيب لدواعي الفطرة في الإنسان، وتحقق له ما فيه المصلحة والخير[١].

(١)انظر: إحياء علوم الدين: ٣/ ٥٧؛ ميزان العمل: ٢٦-٢٩.

الوحدة الرابعة

وسائل اكتساب الأخلاق

ذكرنا فيما تقدم أنّ من أقسام الخلق ما هو فطري. بمعنى أن في الناس مَنْ تشمله العناية الإلهية فيولد سليم الفطرة، كامل العقل، حسن الخُلق، عالِماً مؤدَّباً بغير معلِّمٍ أو مؤدِّبٍ، كما هو الحال في الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام الذين اصطفاهم الله واختارهم، وجعلهم بفضله قدوات صالحة تمثل قمة الكمال البشري، وهناك مِنَ الناسِ مَنْ يمُنُّ اللهُ عليه ببعض الصفات الخُلقية الحميدة، كما في حديث أشج عبد القيس حين أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة»، فسأل النبي أهما من كسبه، أم جبله الله عليهما؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بل الله جبلك عليهما».

كما أنّ من الخُلُق ما هو مكتسب، يُحَصِّلُه المرء بجده واجتهاده، ومن خلال وسائل معينة. يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: التدريب العملي:

إنّ أهم الوسائل التي تعين المرء على اكتساب الأخلاق التدريب العملي، وذلك من خلال مجاهدته لنفسه، وحمْلِها على الأعمال التي يتطلبها الخُلُق المطلوب.

فمن أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود مثلاً، فإنّ سبيله إلى ذلك تَكلُّفَ تعاطي فعل الجود -وهو بذل المال- في البدايات، ثم يستمر على

ذلك البذل، ويطالب نفسه به، ويُواظب عليه تَكَلُّفاً، مجاهداً نفسه، حتى يُصبحَ ذلك خُلقاً له، وطبعاً فيه، فيتيسرَ عليه، ويصير به جواداً.

ومن أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق التواضع وقد غلب عليه الكِبْرُ، فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، يجاهد نفسه فيه، ويتكلفُ إلى أن يصبح ذلك خُلُقاً له وطبعاً فيه، فيتيسر عليه، ويصير به متواضعاً.

وفي بيان هذا الدور المهم للتدريب العملي ورياضة النفس على الفضائل يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[1]، أي أن من دَرَّبَ نفسه وحملها على ما يريد، وجد الاستجابة له بمشيئة الله. فالبداية تكون من العبد، ثم يأتيه التوفيق من الله تعالى. مَثَلُه في ذلك مثل البدن.

«فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى شيئاً فشيئاً بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تُخْلَقُ ناقصةً، قابلةً للكمال، وإنما تكمل شيئاً فشيئاً بالتربية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم»[2].

---

(١) صحيح البخاري: باب الاستعفاف عن المسألة، رقم ١٤٠٠؛ صحيح مسلم: باب فضل التعفف والصبر، رقم ١٠٥٣.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين: ٣/ ٦١.

ويمكن توضيح ذلك من خلال مثالٍ ملموسٍ من واقع حياتنا، وهو رغبة أحدنا في أن يصبح (خطاطاً)، فإننا جميعاً نحكم بأن سبيله إلى تحقيق هذه الغاية هو أن يتعاطى الخط، ويواظب عليه مدة طويلة، ويقلد الخطاطين في خطهم، ويتشبه بهم تَكلُّفاً في البداية، حتى يصير الخطُ الحسَنُ صفةً راسخةً في نفسه، فيصدر منه طبعاً وسجيةً دون تكلف.

وكذلك من أراد أن يصبح فقيهاً، فإن سبيله إلى ذلك تعاطي فعل الفقهاء، من كثرة القراءة في كتب الفقه، وتكرار النظر والتأمل فيها، حتى ينعكس منه على قلبه صفة الفقه، فيصير فقيه النفس.

فإذاً يكون تَكَلُّفُ الفعل الخُلُقي ابتداءً، ثم يُصبحُ طبعاً انتهاءً. وهذا ناتج عن العلاقة المتبادلة بين القلب والجوارح. حيث إنَّ كلَّ صفةٍ تظهرُ في القلب، ينعكس أثرها على الجوارح، فتتحرك وفقها. وكل فعلٍ يجري على الجوارح، ينعكس أثره على القلب، ويؤثر فيه. فكلٌ منهما يؤثر في الآخر، ويتأثر به[1].

ومما ينبغي التنبه له أن مرور الزمن وكثرة التدريب يُكَوِّنان لدى المرء شعوراً باللذة عند تعاطيه لهذا الخلق. وعندها فقط يكون قد أصبح خُلُقاً له. فالسخي إذاً هو الذي يشعر باللذة لدى بذله المال، دون الذي يبذله عن كره. والمتواضع هو الذي يشعر باللذة لدى فعله التواضع، ويواظب عليه مواظبة المشتاق[2]، وفي عبادته ومناجاته لله يشعر براحة وطمأنينة لا

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ٣/ ٥٨-٦٠.
(٢) انظر: إحياء علوم الدين: ٣/ ٥٨.

مثيل لها. يؤكد هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[١].

وهذا الشعور بلذة الطاعة وكره المعصية يزداد بكثرة المداومة والاستمرار، ومن ثَمَّ كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله: أي الناس خير؟ قال: «من طال عُمْره، وحسُنَ عمله»[٢]، وهذا ما كان يرغب الأنبياء والصالحين من عباد الله في طول العمر؛ إذ كلما كان العمر أطول، كانت العبادة أكثر، وكان الثواب أجزل، وكانت النفس أزكى وأطهر، والأخلاق أقوم وأرسخ.

ثانياً: الجليس الصالح والبيئة الصالحة:

وذلك من خلال حسن اختيار الأصحاب والأصدقاء الذين يكونون عوناً له على فعل الخير، ومجانبة الشر. إذ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ»[٣]، والطبع يسرق من الطبع الخير والشرَّ معاً. كما أن على المرء أن يحرص على مجالسة الصالحين، مجالسة من يُذَكِّره بالله، ويرغبه في عمل الخير، وبما عند الله تعالى، وينفره من عمل الشر، وما يجلب له السخط والغضب من الله

(١) المسند: رقم ١٤٠٣٧؛ سنن النسائي: باب حب النساء، رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠. وسنده صحيح، انظر فتح الباري: ١١/ ٣٤٥.

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، رقم ٢٣٢٩ و٢٣٣٠. وقال: حسن صحيح.

(٣) المسند: رقم ٨٤١٧؛ سنن أبي داود: باب من يُؤمر أن يجالس، رقم ٤٨٣٣؛ سنن الترمذي: باب ٤٥، رقم ٢٣٧٨. وقال: حسن غريب. وقال النووي في رياض الصالحين (رقم ٣٦٧): إسناده صحيح.

تعالى. وقد مَثَّل الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك بقوله: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

يقول الإمام النووي رحمه الله في تعليقه عليه: «في الحديث تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»[2]، ويقول الشيخ ناصر السعدي رحمه الله: «اشتمل هذا الحديث على الحث على اختيار الأصحاب الصالحين، والتحذير من ضدهم. ومثل النبي صلى الله عليه وسلم بهذين المثالين، مبيناً أن الجليس الصالح: جميع أحوالك معه وأنت في مغنمٍ وخيرٍ، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك إما بهبة، أو بعوضٍ، وأقل ذلك مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك، فيحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام،

---

(١) صحيح البخاري: باب المسك، رقم ٥٢١٤؛ صحيح مسلم: باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم ٢٦٢٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦/ ١٧٨.

ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله. فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير أو إلى ضده، وأما مصاحبة الأشرار: فإنها بضد جميع ما ذكرنا، وهم مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشَرٌ على من خالطهم، فكمْ هلك بسببهم أقوامٌ! وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون! ولهذا كان من أعظم نِعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار، صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين، صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، وصحبة الأشرار تحرمه ذلك أجمع: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان٢٧- ٢٩]، إنّ أقل ما تستفيده من الجليس الصالح - وهي فائدة لا يستهان بها - أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعايةً للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعاً عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك، ومحبته لك، وتلك أمور لا تباشر أنت مدافعتها، كما أنه قد يصلك بأشخاص وأعمال

ينفعك اتصالك بهم، وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى. وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله»[١].

ويؤكد ما أسلفناه من أثر البيئة الفاسدة أو الصالحة على المرء، قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدْ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ؛ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[٢]، فقد طالبه الرجلُ العالِمُ بتغيير بيئته الفاسدة، قال النووي: «قال العلماء: في هذا استحبابُ مفارقة التائب المواضعَ التي أصاب بها الذنوب، والأخدانَ المساعدين له على ذلك، ومُقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صُحبة أهلِ

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار: ١٥٦-١٥٧ شرح الحديث ٦٨.

(٢) صحيح البخاري: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٨٣؛ صحيح مسلم: باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم ٢٧٦٦.

الخيرِ والصلاحِ والعلماءِ والمتعبدين الورعين، ومنْ يُقتدى بهم ويُنْتفَعُ بصحبتهم»[(١)].

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»[(٢)]، فالحديث يبين الدور الكبير، والتأثير البالغ للبيئة المحيطة بالمرء في اكتساب الأخلاق، وأنه كلما كانت البيئة ألصق بالمرء، وأكثر ملازمة له، كان أثرها عليه أعظم.

ثالثاً: القدوة الحسنة:

الإنسان بطبعه يميل إلى تقليد غيره ومحاكاته، فالضعيف يقلد القوي، والصغير يقلد الكبير، والفقير يقلد الغني، ممن نال إعجابه، واستحوذ على رضاه، وهذا أمرٌ واقعٌ ومحسوسٌ في دنيا الناس، لا يتجادل فيه اثنان، وقد قصَّ الله علينا في كتابه العزيز حال المشركين، ونبَّه إلى أن الذي قادهم إلى الضلال والكفر إنما هو تقليدهم للآباء والأسلاف من غير تَبَصُّرٍ وإعمالٍ للعقل. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[البقرة: ١٧٠]ـ فالمنكر عليهم ليس مجرد التقليد، وإنما التقليد القائم على التبعية العمياء، وعلى تعطيل العقل! ولو كان قائماً على الفِكْر

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/ ٨٣.

(٢) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣١٩؛ صحيح مسلم: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٦٥٨.

وحُسْن الاختيار لكان مقبولاً، بل مطلوباً كما في سير الأنبياء السابقين عليهم السلام التي قصها الله علينا، ثم قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: ٩٠]، فأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في ملاقاتهم لأنواع الابتلاء، وصبرهم على الشدائد، وتحملهم للأذى في سبيل الدعوة، فما كَلُّوا ولا مَلُّوا ولا يئسوا[1]، كما أنّ الله سبحانه قص علينا كثيراً من جوانب حياة الرسول (كتعظيمه لله، ومحبته وإخلاصه له، وخشيته منه، ورأفته ورحمته بالعباد...) وأثنى على أخلاقه العظيمة، وأمر الأمة المسلمة بالاقتداء به عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١]، لقد اختاره الله قدوة ومثلاً كاملاً للطامحين في الوصول إلى الكمال البشري، ولئن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، فإنّ سيرته العطرة قد حُفِظتْ لنا، وفيها ما يكفي أن يكون شاهداً على سمو روحه، وكمال نفسه، ورفعة أخلاقه، لنتمكن من التأسّي به، وتقوم علينا الحجة.

إنّ الشخصية القيادية تفرض نفسها على الآخرين، وتنتزع منهم الإعجاب رغماً عنهم، وإن ميادين الحياة التي يمكن من خلالها أن تفرض هذه الشخصية أو تلك نفسها على الآخرين كثيرة جداً، فهذا في الشجاعة، وذاك في سداد الرأي والحكمة، وآخر في التربية، وآخر في الإحسان والإيثار وآخر في كظم الغيظ، وهكذا.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٦/ ١٦٦.

وإنّ الأسباب التي تدفع الناس للتأسي بالقدوة في اكتساب الفضائل كثيرة، منها:

١-القدوة الصالحة محل تقدير وإعجاب الناس، وهو ما من شأنه أن يدفع الشخص المحروم من هذا التقدير والإعجاب إلى تقليد القدوة ومحاكاته لعله يصبح يوماً ما مثله، فيندفع لتقليده، ومع مرور الوقت يتحول ذلك لديه إلى خلق مكتسب.

٢-إن وجود القدوات الصالحة، والنماذج الطيبة الراقية، يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمرٌ ممكنٌ، وهو ما يدفعهم إلى محاولة التخلق بمثل أخلاقهم.

٣-النفس البشرية تتأثر بالأمور العملية أكثر من تأثرها بالأمور النظرية، وإن موقفاً عملياً واحداً ربما يؤثر أكثر من عشر محاضرات نظرية، فمهما حثَّ أحدنا الناس على الصبر والتضحية سيبقى تأثيره قليلاً بالمقارنة مع موقف عملي يُبتلى فيه أحدُنا، فيظهر الصبر والجلد والتضحية، وكثيراً ما يتردد على الألسن مقولة: (الرجال مواقف)، وموقفٌ واحدٌ قد يرفعُ المرءَ أو يسقطه.

إنّ الناظر في سير العظماء لن يجد لهم بالضرورة خطباً بليغةً، أو محاضراتٍ منمقةٍ، وإنما يجد المواقف. فمن ينظر إلى سيرة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي رضي الله عنهم مثلاً، فإنه سيجد أن أكثر ما يُعرفُ ويُشتهَرُ عنهم، مواقفهم الحاسمة في نصرة الدين، ووقوفهم الحازم في وجه أعدائه.

إنّ أكثر ما يعرفه الناس عامة من سيرة أبي بكر رضي الله عنه، صحبته للنبي في هجرته، وتضحيته ببذل النفس والمال فداءً للرسول صلى الله عليه وسلم ولدعوته. وكذا ثباته على الحق برباطة جأش يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله في الصحابة: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ومثل ذلك وقفته الحازمة في وجه المرتدين وفي وجه مانعي الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله: أينقص الدين وأنا حي، و الله لو لم يخرج إليهم أحدٌ لقاتلتهم بسيفي، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .

وإنّ أكثر ما يُعرفُ من سيرة الإمام أحمد بن حنبل امتناعه عن القول بخلق القرآن، وتحمله التعذيب والسجن نصرةً للحق حتى قال فيه علي بن المديني رحمه الله: «إن الله أعزَّ هذا الدين بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة»[(١)].

ومما قيل في التأكيد على الأثر البالغ للفعل: «عَمَلُ رجلٍ في ألف رَجُل، أبلغُ من قولِ ألفِ رجلٍ في رجل»[(٢)].

إنّ من واجب المصلحين والدعاة المربين إبراز النماذجَ الصالحةَ من أسلافنا من الصحابة والتابعين، وسير العلماء الربانيين، والزهاد الأتقياء

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ١٩٦. وهو شيخ الإمام البخاري، وكان يقول فيه : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني.

(٢) التفسير الكبير: ٣/ ٤٥.

العابدين، والقادة الأفذاذ الفاتحين، والمربين الناجحين؛ لتتحرك الهمم نحو التأسي بهم، والسير على نهجهم، والتخلق بأخلاقهم.

رابعاً: الضغط الاجتماعي:

ونعني به المجتمع المسلم، بما يشكله من رقابة على سلوك الأفراد، ويُلزمهم بفضائل الأخلاق. وذلك أن الفرد يعيش مع الناس داخل هذا المجتمع أو ذاك، يحتاجهم في شؤون حياته، ولا يستغني عنهم، ويحتاج منهم التقدير والاحترام. فإن أقدم على تصرف غير أخلاقي، فإنه سيجد من يحاسبه على سلوكه ذاك، وسيشعره بأن سلوكه غير مقبول، وأنّ عليه أن لا يعاوده، ويوماً بعد يوم مع هذه الرقابة من المجتمع، ومع الضغط الذي يشكله على السلوك المنحرف، فإن صاحبه سيهجره، وسيبدله بسلوكٍ مقبول، يجلب له الرضا والاحترام والتقدير ممن حوله، وسينتهي الأمر باستقامة خلقه.

ومما يجدر ذكره أن الضغط الاجتماعي يختلف عن البيئة الصالحة التي سبق الحديث عنها، إذ البيئة تقتصر على أولئك الذين يعايشهم المرء بشكل مباشر، وبصورة مستمرة، وأما الضغط الاجتماعي فهو أعم؛ إذ إنه يمتد ليشمل المجتمع كله، بمختلف طبقاته وأطيافه وفئاته، ومن خلال مختلف وسائل الإعلام من جرائد ومجلات وقنوات وإذاعات وخطب ومواعظ وحوارات، فيكون مسؤولاً أمامها جميعاً بما تُكَوِّنه من رأيٍ عام من القرَّاء والمستمعين على امتداد البلاد أو العالم الإسلامي لمحاسبة المنحرف.

وهناك نصوصٌ كثيرةٌ من الكتاب والسنة تؤصل هذه المسؤولية، نذكر منها:

-قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٧٨-٨١]، ثُمَّ قَالَ: كَلاَّ وَاللهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»[1].

فالحديث يبين وجوب الاستمرار في إنكار المنكر، واستمرار الضغط على مرتكبه من مختلف أبناء المجتمع حتى يرتدع ويَكُفَّ عن فعله الشائن، وإلا حلَّ بنا ما حلَّ ببني إسرائيل من العقوبة والعياذ بالله.

(١) سنن أبي داود: باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٦؛

-قوله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ الله وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَمِيعاً»[1].

ومعنى القائم في حُدُودِ الله: المدافع عنها، وهو عكس الواقع فيها. والحديث يؤكد أيضاً مبدأ المَسؤولية الجماعية، ويشبه أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم بالراكبين في سفينة واحدة، حيث يجمعهم مصير واحد، وأن الغرق والهلاك إذا حلَّ بهم فلن يقتصر على البعض دون البعض، بل سيشمل الجميع، المنحرف لانحرافه، وغيره لسكوته عن الإنكار، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[الأنفال: ٢٥].

ومع مرور الزمن والكف عن الأخلاق السيئة خوفاً من ضغط المجتمع تختفي تلك الأخلاق من حياة أصحابها، ويحل محلها الأخلاق الحميدة.

خامساً: سلطان الدولة:

ونعني به السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع، وأجهزة رقابة ومحاسبة. فإنها حين تحاسب المنحرف وتعاقبه على تصرفاته غير

---

(١) صحيح البخاري: باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم ٢٣٦١.

الأخلاقية تجعله يكف عنها. وفي ذلك يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إنّ الله لَيَزَعُ بالسلطانِ ما لا يَزَعُ بالقرآن»[١]، أي أن بعض الناس قد لا تردعه نداءات كتاب الله، وما فيه من الترغيب والترهيب، لأن الضعف قد استبد بإيمانهم، وأصبحت قلوبهم ميتةً أو قاسية. وهؤلاء إنما يردعهم الرهبة من السلطان، والخوف من العقوبة. ويوماً بعد يوم، ومع مرور الزمن، يتحول هذا الامتناع القسري عن فعل المنكر إلى خُلُقٍ لصاحبه، ويحسُن خُلُقه[٢].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٨/ ١٠٧.

(٢) للوقوف على هذه الوسائل بتوسع انظر: الأخلاق الإسلامية للشيخ الميداني: ١/ ٢٠٧-٢٢١.

الوحدة الخامسة

(الإلزام والمسؤولية والجزاء الأخلاقي)

يرتبط كلٌ من الإلزام والمسؤولية والجزاء ببعضها ارتباط العلة بالمعلول. بمعنى أن الإلزامَ يكونُ أولاً –بأن يَفرضَ الشرعُ علينا سلوكاً معيناً– فَتَتْبَعُه المسؤوليةُ وتَحمُّل الالتزام، ثم يَتْبَعُهما الجزاءُ إما مكافأةً أو عقوبةً. وفيما يلي بيانٌ موجزٌ بكلٍ منها:

أولاً: الإلزام الخلقي:

تعريف الإلزام الخُلُقي: الإلزام بصورة عامة هو الفرض والإيجاب، أي ما فرضه الشرع وأوجبه علينا من أمرٍ أو نهي، سواءٌ أكان ذلك في باب العقائد، أم العبادات، أم المعاملات، أم الأخلاق....

وفي باب الأخلاق يمكن أن يُعَرَّف الإلزام بأنه: تكليفٌ بتشريع خُلُقي.

أو بعبارة أخرى: أمرٌ صادرٌ من الشرع للمكلفين بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم.

أي أنه أمرٌ من الله سبحانه، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، للبالغِ العاقلِ، يوجب عليه التحلي بخُلُقٍ محمودٍ كالصدقِ والعدلِ ونحوها، أو الابتعادِ والتخلي عن خُلُقٍ مذمومٍ كالكذبِ والرياءِ ونحوها.

مصادر الإلزام الخلقي:

إنّ مصدر الإلزام الخلقي -كغيره من الأحكام الشرعية- إنما هو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[يوسف: ٤٠]، وقال جل جلاله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والعقولُ وإنْ كانت تدرك أحياناً الحسن والقبح في الأشياء؛ كأن تدرك أن الصِّدْقَ حَسَنٌ، والكذبَ قبيحٌ، والأمانةَ حسنةٌ، والخيانة قبيحةٌ، إلا أن مناط الثواب والعقاب هو الشرع، وليس العقل، فإن التشريع حقٌ لله وحده، ثم إن الله تعالى أمرنا باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران: ٣٢]، فاتباعنا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام إنما هو استجابةٌ وامتثالٌ لأمر الله سبحانه. وقد بعثه الله إلينا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقام بهما الحجة على العباد. قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

العوامل التي تعين على تحقيق الالتزام:

ذكرنا أن مصدر الإلزام هو الشرع، غير أن هناك أموراً تعين على تحقيق الالتزام في حياة الناس، وهي متفرعة عن الشرع، ومنضبطة به. وتتمثل في عوامل داخلية: (وهي: الإيمان والعقل والفطرة والضمير الخلقي). وعوامل خارجية: (وهي: المجتمع والسلطة الحاكمة).

العوامل الداخلية للإلزام: وتتمثل كما أسلفنا آنفاً في:

١-الإيمان بالله وباليوم الآخر: إن كثيراً من الممارسات الخلقية الحميدة لا تقوم إلا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر، والطمع بالثواب والرضا من الله تبارك وتعالى وليس من البشر، وذلك كما في مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على الظلم مع القدرة على الرد، والإنفاق على الأيتام والمحتاجين من غير انتظار الجزاء منهم، والتضحية بالمال مع شدة الحاجة إليه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:٨-٩].

يقول ابن القيم رحمه الله: «الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها، والآمر بأحسنها، والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وائتمار صاحبه وانتهاؤه»[1].

٢-العقل: وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعةً ومفيدةً أقْدَمَ عليه، وإذا رأى أنها ستكون ضارةً أو أليمةً أحجمَ عنه، أي أن العقل كثيراً ما يكون وراء الإقدام على التصرفات الأخلاقية الحميدة، والإحجام عن التصرفات المشينة، فالعقل يقود صاحبه إلى الخلق الحميد، وتعطيله يقوده إلى العكس، وفي هذا جاء إخبار الله عن أهل النار بقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[الملك: ١٠]، يقول ابن القيم رحمه الله: «أما العقل فقد وضع الله سبحانه في

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٣/ ٢٦٥.

العقول والفِطَرِ استحسانُ الصدقِ والعدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة، ومكارم الأخلاق، وأداء الأمانات، وصلة الأرحام، ونصيحة الخَلْق، والوفاء بالعهد، وحفظ الجوار، ونصر المظلوم، والإعانة على نوائب الحق، وقِرى الضيف، وحمل الكَلِّ، ونحو ذلك. ووضع في العقولِ والفِطَرِ استقباحُ أضداد ذلك»[(١)].

٣-الفطرة: الإنسان بفطرته السوية السليمة يهتدي إلى الأخلاق الحميدة، ويرتاح لها قلبه وضميره، فالعفة والسخاء والحياء والصدق والشجاعة والإحسان والحلم والأناة كلها قيم أخلاقية راقية تهفو إليها الفِطَر السوية، وتسعى للتحلي بها، على العكس من أضداد تلك الصفات كالخِسَّة وصفاقة الوجه، والجبن، وبذاءة اللسان فإن الفِطَر السليمة تستقبحها وتنفر منها، والإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الرُّوم: ٣٠]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[(٢)].

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم: ٢/ ١٣٨.

(٢) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣١٩.

يقول ابن القيم: «والله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه بأمرين هما أصل السعادة، أحدهما: أنْ خَلَقَهم في أصل النشأة على الفِطرة السليمة، فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها...، فإذا تركت النفس وفطرتها لم تُؤْثِرْ على محبة باريها وفاطرها وعبادته وحده شيئاً، ولم تشرك به، ولم تجحد كمال ربوبيته، وكان أحبَّ شيءٍ إليها، وأطوعَ شيءٍ لها، وآثر شيء عندها»[١].

٤-الضمير أو الوازع الديني: ونعني به ذلك الشعور الخفي الذي نحس به في أعماق نفوسنا، ينادينا ويدفعنا إلى ممارسة فعل أو الكف عنه، وحين نستجيب له يغمرنا شعور عارم بالراحة واللذة. وأما إذا تجاهلناه حصل معنا العكس تماماً، فنشعر بالانقباض والألم النفسي (ويسمى بوخز الضمير)، ونلوم أنفسنا على ذلك التقصير، ولا نريد أن يطلع عليه أحد[٢]، وهذا الضمير إنما يتكون في الفرد في أولى سِنِي حياته، ومن خلال القيم التي تغرس فيه، والثقافة التي ينشأ عليها، والتربية التي يتلقاها، والبيئة المحيطة به، ومن هنا كان دور الدين قوياً بل أساساً في نشأته وصياغته في المجتمع الإسلامي، ولعل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناس»[٣]، ما يشير إلى هذا الضمير الخفي، أو الوازع الديني الذي يكون رقيباً على تصرفات المسلم، فيدفعه إلى طيب الأفعال والأقوال،

---

(١) شفاء العليل لابن القيم: ١٧٣.

(٢) انظر: علم الأخلاق الإسلامية لباجن: ٢٣٥، ٣٠٨.

(٣) صحيح مسلم: باب تفسير البر والإثم، رقم ٢٥٥٣.

ولو لم تكن نصوص الشرع آمرةً بها، وتكفه عن الفعل الذي لا يليق، ولو لم تكن نصوص الشرع ناهيةً عنها.

ثانياً : العوامل الخارجية: وتتمثل في:

١-المجتمع: أمر الله سبحانه جماعة المسلمين أن يراقبوا سلوك الأفراد داخل المجتمع، وأن يأخذوا على يد الشارد منهم، والمنحرف عن جادة الحق، وأن يعاقبوه إذا ارتكب من المحظورات ما يستدعي معاقبته ليكون زاجراً له ورادعاً لغيره. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[النور: ٢]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

فالأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم؛ فتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتأخذ على يد الظالم والعابث، وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرورها. قال تعالى محذراً من ذلك: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[الأنفال: ٢٥].

٢-السلطة الحاكمة: إن أهم واجبات السلطة الحاكمة -والمتمثلة بولي الأمر أو من ينوب عنه- هو حملُ الناسِ على الالتزام بحدود الشرع

---

(١) صحيح مسلم: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩.

الحنيف أمراً ونهياً، والتحلي بالأخلاق النبيلة، والابتعاد عن السلوك المنحرف، وهو ما عبر عنه الإمام الماوردي رحمه الله بأربع كلمات فقال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[1]، وحراسة الدين إنما تكون بتطبيق الشريعة، وردع الخارج عليها. وسياسة الدنيا تكون بمنع المنازعات، وقطع الخصومات، وتحقيق العدل بين الرعية، وإيصال الحقوق إلى أصحابها. ولا شك أن الإمام (أو ولي الأمر) لن يستطيع أن يحقق ذلك كله بمفرده، بل لا بد من معاونة الجهاز المشارك له في إدارة البلاد، والذي يمثل بمجموعه السلطة الحاكمة.

خصائص الإلزام الخُلُقي:

يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بجملة من الخصائص أهمها:

أ-أنه إلزام بقدر الاستطاعة، فلا تكليف إلا بما يُطاق. قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦]، وهذا مبدأ يقتضيه العدل الإلهي، كما يقتضيه الخلق القويم.

ب-أنه إلزام بما فيه يُسر على الناس، ويسهل تطبيقه. ومن ثَمَّ فلا تكليف بما فيه حرج أو مشقة لم تعتدها نفوس الناس. قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج: ٧٨].

---

(١) الأحكام السلطانية: ٥.

ج-أنه إلزام روعيت فيه الأحوال الاستثنائية، كما في إعفاء ذوي الأعذار من العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾[الفتح: ١٧]، وكما في الترخص بالتلفظ بالكفر باللسان مع بقاء القلب مطمئناً بالإيمان، قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾[النحل: ١٠٦][1].

ثانياً: المسؤولية الخلقية

تعريف المسؤولية: إذا صدر الإلزام من طرفٍ، نتج عنه بالضرورة مسؤولية الطرف الآخر عمَّا أُلزم به وإلا لم يكن إلزاماً، بل اختياراً، ويكون تسميته بالإلزام خطأً.

وقد عرفت المسؤولية بأنها: التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً[2]، أو: تحمل الشخص النتائج المترتبة على ما التزم به من قولٍ أو عملٍ أو تركٍ[3].

شروط المسؤولية: ليس كلُّ إنسانٍ مسؤولاً عن أفعاله وأقواله، بل هناك شروط لابد من توافرها حتى تترتب المسؤولية على الفاعل، ويمكن إجمالها فيما يلي:

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية: ٢٤٠-٢٤٤.
(٢) المعجم الوسيط: كلمة (المسئولية): ١/ ٤١١.
(٣) انظر: علم الأخلاق الإسلامية: ٢٥٢.

١-البلوغُ: وإلا فلو كان صغيراً فلا تكليف ولا مسؤولية عليه، لقصور فهمه عن إدراك معاني خطاب الشرع.

٢-العَقْل: وإلا فلو كان مجنوناً فلا تكليف ولا مسؤولية، لأنَّه لا يعقِل أمر الشرع ونهيه. ودليل الاثنين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ»[(١)].

٣-الاختيار: أي أن يكون العمل نابعاً من إرادته، حراً مختاراً فيه؛ وإلا فلو كان مكرهاً على العمل، لم يتحمل صاحبه مسؤولية تصرفه؛ لأنه بذلك يكون قد تحول إلى آلة لتنفيذ الفعل، ولا يُنسب الفعل إليه. قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾[النحل: ١٠٦]، فبين أن الإثم مرفوع عن المكره ولو نطق بكلمة الكفر مادام يجد قلبه مطمئناً بالإيمان، وفي الحديث أيضاً يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَّ وَضَعَ عن أمتي الخطأ والنسيَانَ وما استُكْرِهُوا عليه»[(٢)].

---

(١) سنن أبي داود: باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، رقم ٤٤٠١ – ٤٤٠٣؛ سنن الترمذي: باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، رقم ١٤٢٣. وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن علي، والعمل على هذا عند أهل العلم". وانظر مختلف رواياته في فتح الباري: ١٢/ ١٢١-١٢٢.

(٢) سنن ابن ماجه: باب طلاق المكره والناسي، رقم ٢٠٤٢-٢٠٤٤. حسنه النووي. انظر: فيض القدير: ٢/ ٢٦٧؛ كشف الخفاء: ١/ ٥٢٢-٥٢٣.

٤-النية، إذ المسؤولية الحقيقية عند الله إنما هي على نية وقصد المرء دون ظاهر سلوكه. بمعنى أن العمل لو صدر من الشخص بإرادته، ولم يكن ينوي النتيجة التي ترتبت عليه، فإن الله سبحانه يحاسبه على نيته الحقيقية وليس على ظاهر عمله. فمن تصدق على فقير ونيته السمعة والرياء فإنه لا ثواب له عند الله، ومن رمى صيداً فأصاب إنساناً، فإن الله لا يؤاخذه على فعله هذا، ولا يحاسبه على أنه قاتل لإنسان معصوم الدم. وأما نحن في الدنيا فنحكم بظاهر الفعل أو القول؛ لأن النية من الأمور الخفية التي لا يطلع عليها غير الله سبحانه. قال الله تعالى في بيان هذه الحقيقة: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، واللغو قول: لا والله، بلى والله، لا يريد الحلف حقيقة، بل سبقه إليه لسانه لتعوده عليه، فهذا لا يؤاخذ، وإنما يؤاخذ من يريد اليمين. عازمٌ عليه قلبه. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[(١)].

٥-العلم بالعمل المطلوب منه وبحكمه الشرعي هل هو محرم أم واجب، أو إمكانية العلم بذلك، بأن تكون فرصة معرفة الحكم متاحة له بالتعلم المباشر أو السؤال، وإلا فلو لم يسأل عن الحكم، ولم يسع لتعلمه، فإنه يؤاخذ قطعاً؛ لأن المرء لا يُعذر بجهله، والجهل عذر في حق من لم تبلغه دعوة الإسلام، ولم يمكنه التعرف عليه، ولا السؤال عنه، ولم يكن منه التقصير، فهذا هو الذي لا يؤاخذه الله، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥].

(١) صحيح البخاري: باب بدء الوحي، رقم ١.

٦-كون العمل مما يطاق، أي أنه بمقدوره فعل الشيء أو تركه، وإلا فمتى كان العمل فوق طاقته لم يحاسبه الله عليه، وتسقط مسؤوليته عنه. قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦][1].

خصائص المسؤولية:

تتسم المسؤولية في الإسلام بأنها شخصية (أو فردية) بالدرجة الأولى، بمعنى: أن الإنسان يتحمل مسؤولية تصرفاته فحسب، دون تصرفات غيره أياً كان، ومهما كانت درجة قرابته. فلو قتل الأب شخصاً وحُكم عليه بالقصاص، لم يجز الاقتصاص من الولد ولو رضي، بل القصاص على القاتل فحسب، ولو شرب رجلٌ خمراً لم يجلد ولده أو والده عنه ولو طلبوا ذلك ورضوا به، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[المدثر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[الإسراء: ١٥].

غير أنّ هناك مسؤولية أخرى ملقاة على عاتق الفرد، أو مسؤوليات متعددة، منها: المسؤولية التقصيرية عن مَنْ هُم تحت ولايته، كالأب في الأسرة، ومدير الدرسة في مدرسته، وضابط الجيش في قطعته، ومدير الشركة في شركته، وولي الأمر فيما تحت ولايته. يقول عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2].

---

(١) الأخلاق الإسلامية: ١/ ١١٧-١٣٦.

(٢) صحيح البخاري: باب الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٥٣.

ومنها ما يمكننا أن نسميها المسؤولية الاجتماعية -أو التكافلية- وهي مسؤولية كل فرد مكلف في المجتمع عن القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد المنحرف[١]، يقول عليه الصلاة والسلام: «من رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢].

أنواع المسؤولية:

تنقسم المسؤولية إلى ثلاثة أنواع:

١-المسؤولية الأخلاقية المحضة: وتعني التزام المرء أمام نفسه وضميره بالإتيان بشيء أو الانتهاء عنه.

٢-المسؤولية الاجتماعية: وتعني التزامه تجاه أبناء المجتمع، وما يفرضه المجتمع من قواعد.

٣-المسؤولية الدينية: وتعني التزامه أمام الله تعالى.

ثالثاً: الجزاء الأخلاقي:

تعريف الجزاء الأخلاقي: يُقصد بالجزاء الأخلاقي المكافأة أو الأثر المترتب على الفعل الأخلاقي، سواءٌ أكان ظاهراً كالسجن والضرب، أم

---

(١) الأخلاق الإسلامية: ١/ ١٣٩-١٤٢.

(٢) صحيح مسلم: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩.

باطناً كتأنيب الضمير، وسواءٌ أكان في الدنيا كالعقوبات المقررة شرعاً على الجنح والجرائم، أم في الآخرة كنعيم الجنة أو عذاب النار.

أنواع الجزاء الأخلاقي:

وتتمثل في: الشعور النفسي، والعقوبات الشرعية، والجزاء الإلهي.

١ - الشعور النفسي:

ونعني به ما يلمسه المسلم من نفسه من الرضا عند الطاعة والألم عند المعصية -وهو ما يسمى برضا الضمير أو وخزه- وقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك الشعور واعتبره من علامات الإيمان، فقال: «من سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلك الْمُؤْمِنُ»[(١)]، وهذا الشعور خاص بالمؤمن، وأما غير المؤمن فلا يبالي بما فعل.

يقول عبد اللهّ بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ على أَنْفِهِ فقال بِهِ هَكَذَا، قال أبو شِهَابٍ بيده فَوْقَ أَنْفِهِ»[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٥ وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) صحيح البخاري: باب التوبة، رقم ٥٩٤٩.

٢- العقوبات الشرعية:

- وهي العقوبات التي أقرها الشرع لأولئك الذين يتعدون حدود الله. والغاية من هذا الجزاء معاقبة المجرم وردعه، وردع غيره ممن تسول له نفسه فعل مثل ذلك. وهذه العقوبات على نوعين:

حدود: وهي جزاءات حددها الشرع على جرائم معينة كحد الزنا، والسرقة، والقذف، ولا مجال للاجتهاد فيها.

وتعزيرات: وهي عقوبات تأديبية يُعَاقَبُ بها من ارتكب جناية لم يحدد الشرع لها عقوبةً.

٣- الجزاء الإلهي:

ونعني به الجزاء الذي يكون من الله سبحانه في الدنيا أو الآخرة.

ففي حالة الطاعة يكون له من الله سبحانه في الدنيا الرضا والحفظ وتيسير الأمور والنصرة والعزة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وقال جل جلاله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وفي الآخرة له الجنة والكرامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

وفي حالة المعصية والاستمرار عليها يكون له في الدنيا ضنك العيش والمصائب من الله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ

لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه: ١٢٤]، وفي الآخرة له نار جهنم وله الإهانة والسخط من الله. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾[البيِّنة: ٦].

الوحدة السادسة

نماذج لجوانب من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم:

قال الله تعالى مادحاً نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤]، وحين سأل سعدُ بن هشام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: بَلَى، قالت: فإن خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه وسلم كان الْقُرْآنَ[1].

أي أنّ أخلاقه عليه الصلاة والسلام كانت تجسيداً عملياً لما جاء به القرآن الكريم من أوامر ونواهي، فكان يرضى لما يُرضي الله، ويَسخط لما يُسخطه. فهو الذي اختاره الله سبحانه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية، فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١]، وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٦]، وزكى الله لسانه فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النَّجم: ٣]، وزكى صدره، فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[الانشراح: ١]، وزكى هديه ومنهجه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ

(١) صحيح مسلم: باب جامع صلاة الليل، رقم ٧٤٦.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران: ٣١]، ومن ثَمَّ قال النبي صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن نعمة ربه عليه: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[١]، وقال: «أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله»[٢]، ويقول أنس رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا[٣]، وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

ولن نستطيع في محاضرة ولا في عشرات المحاضرات من إعطاء هذا الموضوع حقه، ولكن ما لا يدرك جله، لا يترك كله، ومن ثم فإننا سنكتفي بعرض نماذج من مختلف جوانب أخلاق نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم.

(١)- عبادة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي عليه الصلاة والسلام كما وصف نفسه، أتقى الناس وأخشاهم لله، وأكثرهم عبادة وتألهاً، فمن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان شاكراً لربه. تقول عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غَفَر اللهُ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه

---

(١) كشف الخفاء: رقم ١٦٤ وقال: إسناده ضعيف لكن معناه صحيح على ما قاله ابن كثير وغيره.
(٢) سبق تخريجه، رواه البخاري ومسلم..
(٣) صحيح البخاري: باب الكنية للصبي، رقم ٥٨٥٠. صحيح مسلم: باب جواز الجماعة في النافلة، رقم ٦٥٩.
(٤) المسند لأبي يعلى: رقم ٧١٢٠؛ المعجم الأوسط للطبراني: رقم ٦٥٧٨. وسنده حسن. فتح الباري: ٦/ ٥٧٥.

الصلاة والسلام: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[١]، ويصف لنا بعض الصحابة صوراً من عبادة الرسول عليه الصلاة والسلام، تُجَلِّي لنا بعض جوانب حالته -بأبي هو وأمي- مع ربه، وبعض معنى قوله: «أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله»، من ذلك:

ما يرويه حُذيفة بن اليَمان قال: لَقِيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعد العَتَمَةِ، فقلتُ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ بِعِبَادَتِكَ، فَذَهَبَ وَذَهَبْتُ مَعَهُ ...، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمُ»، وَيُرَدِّدُ فِيهِ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ، فَمَكَثَ فِي رُكُوعِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» وَيُرَدِّدُ شَفَتَيْهِ فَأَظُنُّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ، فَمَكَثَ فِي سُجُودِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ نَهَضَ حِينَ فَرَغَ مِنْ سَجْدَتَيْهِ، فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ آلَ عِمْرَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَفِعْلِهِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَمِعْتُ النِّدَاءَ بِالْفَجْرِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَمَا تَعَبَّدْتُ عِبَادَةً كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهَا[٢].

---

(١) صحيح البخاري: باب قوله تعالى: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}، رقم ٤٥٥٧.
صحيح مسلم: باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم ٢٨٢٠.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي: ١/ ٣٤٦ رقم ٢٤١؛ ومسلم في صحيحه بشيء

وكان من شدة خشيته لله يُسمعُ لجوفه وهو يصلي أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء[١]، حتى لكأنه يعاين الحساب، وكان يقول: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[٢]، وكان يكثر من الصيام، تقول عائشة رضي الله عنها: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، ولم أره صائماً في شهرٍ قط أكثر منه في شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً[٣]، وكان يُكثر من الصدقة فلا يكاد يُمسك على شيء، يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ الناس، وكان أَجْوَدُ ما يَكُونُ في رَمَضَانَ حَين يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكان يَلْقَاهُ في كل لَيْلَةٍ من رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ[٤]، وكان مع كل ذلك ينظر إلى عبادته وشكره لله فيرى نفسه مقصراً في جنب الله، فيزداد تقرباً من الله وشكراً له، وكان يقول في بيان ذلك: «إنه لَيُغَانُ على قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَّ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٥].

الغين هو الغشاوة الخفيفة أو الفتور، أي أنه صلى الله عليه وسلم لكمال عبوديته لله، ولكمال محبته وشكره له، كان يرى من نفسه التقصير

من الاختصار. انظر: باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم ٧٧٢. وعند مسلم عن ابن مسعود أيضاً: رقم ٧٧٣.

(١) المسند: رقم ١٦٣١٢؛ سنن النسائي: باب البكاء في الصلاة، رقم ١٢١٤. قال النووي في رياض الصالحين (رقم ٤٥٠): حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري: باب الصدقة في الكسوف، رقم ٩٩٧.

(٣) صحيح البخاري: باب صوم شعبان، رقم ١٨٦٨.

(٤) صحيح البخاري: باب كيف كان بدء الوحي، رقم ٦.

(٥) صحيح مسلم: باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم ٢٧٠٢.

بمجرد الغفلة أو الفتور عن ذكر الله لأي أمرٍ كان، وكان يَعُدُّ ذلك ذنباً فيستغفر عنه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان في حالة ترقي دائم من كمالٍ إلى كمال. وكلما ارتقى إلى حال رأى ما قبلها دونها، فاستغفر من الحالة السابقة[1].

(٢)-خلق النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة:

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لجميع الخلق، وكان همه وتفكيره منصبين على كيفية إدخال الهداية إلى قلوبهم، وكان شديد الحزن والأسى لإعراضهم حتى عاتبه الله على ذلك في مواضع متعددة من كتابه العزيز كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف: ٦]، أي: لعلك يا محمدُ مُهلكٌ نفسكَ وقاتلُها حسرةً وأسفاً على إعراضهم وعدم استجابتهم لدعوتك؟ أي: لا يَعْظُمْ حزنُك وأسفُك بسبب كفرهم[2]، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يُعلم المخطئ والمسيء بأحسن أسلوب، وألطف عبارة، وفيما يلي صورٌ من ذلك:

-روى أبو أُمامة رضي الله عنه قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه. وقالوا: مه، مه. فقال له: «ادنه»، فدنا منه قريباً. قال: «أتحبّه لأمّك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه

(١) فتح الباري: ١١/ ١٠١-١٠٢.
(٢) التفسير الكبير للرازي: ٢١/ ٦٧؛ تفسير القرطبي: ١٠/ ٣٤٨.

لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه. وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١].

وهكذا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعَنِّفْ على الشاب، ولم يعاقبه، بل دغدغ عواطفه، وحرك الغيرة فيه، فاستجاب له الشاب وسَلَّم.

-وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد! فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه، مه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُزْرِموه، دعوه». فتركوه حتى بال، ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: «إِنَّ هذه الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ من هذا الْبَوْلِ ولا الْقَذَرِ، إنما هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عز وجل وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، قال: فَأَمَرَ رَجُلًا من الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ من مَاءٍ فَشَنَّهُ عليه[٢].

---

(١) المسند: رقم ٢٢٢١١. قال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط. إسناده صحيح.
(٢)صحيح البخاري:، رقم ٥٦٧٩؛ صحيح مسلم:، رقم ٢٨٥.

ومعنى لا تزرموه: لا تقطعوه، ودعوه يُكمل، فعلى الرغم من أن المسجد بيت الله تعالى، ويجب تعظيمه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الأعرابي يكمل بوله، ثم عَلَّمه برفق، من غير تعنيفٍ ولا ايذاءٍ؛ لأنه دافعه إلى ذلك لم يكن الاستخفاف أو العناد، بل الجهل[1]، ولو عنَّف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الإنكار لربما كان ذلك سبباً في صَدِّه عن دين الله، وحرمانه من الهداية، وفي هذا درس بليغ لنا في الدعوة إلى الدين بالرفق واللين، وحسن القول والمعاملة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢]، وقال تعالى مخاطباً نبيه: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

(٣)-رحمة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة من الله للناس كافة؛ مؤمنهم وكافرهم، صالحهم ومسيئهم، وذلك بما حمله من هداية وتشريع وإرساء لقيم الحق والعدل. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[الانبياء:١٠٧]، بل جعل الله وجوده صلى الله عليه وسلم بين ظهراني قومه ضمانة أمانٍ لهم من الهلاك في الدنيا على الرغم من بقائهم على شركهم وعدم إيمانهم بدعوته. وما ذلك إلا لكرامته على الله. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[الأنفال:٣٣]، كما أنه صلى الله

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ٣/ ١٩١.

عليه وسلم سيكون رحمة للبشرية جميعها في الحياة الآخرة، حيث ستشملهم شفاعته الكبرى لإراحتهم من هول الموقف وبدء الحساب[١].

وعندما طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على المشركين أجابهم بقوله: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثتُ رحمة»[٢]، وعلى الرغم من إيذائهم له في غزوة أحدٍ حيث كسروا رباعيته وشجوا رأسه وسال الدم على وجهه الشريف فإنه لم يدع عليهم[٣]، بل كان يمسح الدم عن وجهه الشريف، ويقول لأصحابه بأن نبياً من الأنبياء تعرض لمثل هذا، فلم يقل سوى: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[٤]، وحين سألته السيدة عائشة رضي الله عنها هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «نعم؛ يوم العقبة، حين جاءه جبريل وملك الجبال عليهما السلام، وقال له ملك الجبال: إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئاً»[٥].

---

(١) صحيح البخاري: باب كلام الرب يوم القيامة مع أنبيائه وغيرهم، رقم ٧٠٧٢.
(٢) صحيح مسلم: باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم ٢٥٩٩.
(٣) صحيح مسلم: باب غزوة أحد، رقم ١٧٩١.
(٤) صحيح البخاري: باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ولم يصرح، رقم ٦٥٣٠.
(٥) صحيح البخاري: باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت، رقم ٣٠٥٩.

وقد بلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته أن سأل الله أن يجعل سَبَّهُ ولعنهُ لِمَنْ أغضبه رحمةً، فقال: «اللهم إنما أنا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أو سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ له زَكَاةً وَأَجْراً»[(١)].

نعم؛ فلقد ملأ الله قلبَ محمدٍ رحمة، فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وبلغ من شفقته ورحمته بأمته أن دعا على ولاة الأمور الذين لا يرفقون برعاياهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به»[(٢)]، وقال صلى الله عليه وسلم في بيان فضل الرحمة والحث عليها: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[(٣)].

وفيما يلي نقوم بعرض مشاهد من رحمته عليه الصلاة والسلام:

-أمْرُهُ عليه الصلاة والسلام مَنْ أمَّ في الصلاة بأن يُخفف شفقة ورحمة بالمصلين ورعاية لأحوالهم، فلقد جاءه رجلٌ، فقال: إني لأتأخرُ عن صلاة الصبح مِن أجل فلانٍ مما يُطيل بنا، قال أبو مسعود -راوي الحديث-: ما رَأَيْتُهُ غَضِبَ في مَوْضِعٍ كان أَشَدَّ غَضَباً منه يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قال:

---

(١) صحيح مسلم: باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه، رقم ٢٦٠٠.
(٢) صحيح مسلم: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم ١٨٢٨.
(٣) المسند: رقم ٦٤٩٤؛ سنن الترمذي: باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم ١٩٢٤ وقال: حديث حسن صحيح.

«يا أَيُّهَا الناس إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ الناس فَلْيَتَجَوَّزْ، فإن خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»[١].

- بكاؤه عليه الصلاة والسلام على ولده إبراهيم عند مماته في مجتمع كان يعيب مثل هذا الأمر، ويعتبره ضعفاً في الرجال، وربما منافياً للقيم التي جاء بها الدين من المروءة والقوة، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْراً لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[٢].

فبين عليه الصلاة والسلام أنّ هذا البكاء رحمة، ومما تقتضيه الفطرة السليمة، وأن الممنوع إنما هو السخط من قضاء الله وقدره، وعدم الرضا بأمره! وهذا شأن الكافر، وأما الحزن والوجد على فقد الولد والحبيب مع الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمره، فهو رقة في المشاعر، ورأفة في

(١) صحيح البخاري: باب من شكا إمامه إذا طول، رقم ٦٧٢. وفي (٦٧٣) أن الإمام معاذ بن جبل.

(٢) صحيح البخاري: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزونون، رقم ١٢٤١.

القلب، يحبها الله من عبده المؤمن، لما فيها من إظهار العبودية والافتقار إلى الله.

- ومن صور رحمته عليه الصلاة والسلام أنه كان ذات مرة يقبل سبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقْرَعُ بن حابِسٍ، فقال الأقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً من الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهم أَحَداً! فَنَظَرَ إليه رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»(١)، وفي حديث آخر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي الذي قال: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ! فما نُقَبِّلُهُمْ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَ أَمْلِكُ لكَ أَنْ نَزَعَ الله من قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»(٢).

وهذه المشاهد أوردناها من باب التمثيل، وإلا فسيرته العطرة كلها مشاهد لرحمته، ويغنيه عن ذلك كله قول الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨].

(٤)-صِدْقُ النبي صلى الله عليه وسلم:

كان الصّدق سِمةَ أقوال النبي عليه الصلاة والسلام وأفعاله وإيمانه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وهو الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث جاء بالقرآن

(١) صحيح البخاري: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥١.
(٢) صحيح البخاري: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥٢.

وآمن به، وكذلك آمن أتباعه بما جاء به[١]، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «قد عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ للهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ»[٢].

يقول الماوردي رحمه الله في خصاله صلى الله عليه وسلم: الخصلة السادسة: أنه محفوظ اللسان من تحريفٍ في قولٍ، واسترسالٍ في خبرٍ يكونُ إلى الكذبِ منسوباً، وللصدقِ مُجانِباً، فإنه لم يزلْ مشهوراً بالصدْقِ في خبره فاشياً وكثيراً حتى صار بالصدق مرموقاً، وبالأمانة مرسوماً. وكانت قريشٌ بأسرها تَتَيَقنُ صِدْقَهُ قبلَ الإسلامِ، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه، فمنهم من كذَّبَه حسداً، ومنهم من كذَّبه عناداً، ومنهم من كذَّبَه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً، ولو حفِظوا عليه كِذْبةً نادرةً في غيرِ الرسالةِ لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة، ومَنْ لَزِمَ الصِدْقَ في صِغَرِه، كان له في الكِبَرِ ألْزَمَ، ومَنْ عَصِمَ منه في حَقِ نفسِه، كان في حقوقِ الله تعالى أعْصَمَ. وحسْبُكَ بهذا دفعاً لجاحدٍ، ورداً لمعاندٍ[٣].

ولقد علم القاصي والداني صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه حتى إنهم لقبوه بالصادق الأمين وذلك قبل إعلان دعوته، وقبل إعلامهم بأن الله قد أرسله إليهم، وفيما يلي صورتان تؤكدان هذه الحقيقة:

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥/ ٢٥٦؛ تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤.
(٢) صحيح البخاري: باب نهي النبي صلى الله عليه وسلم على التحريم، رقم ٦٩٣٣.
(٣) أعلام النبوة: ٢٩٤.

- اعتراف أعدائه بصدقه قبل إعلانه لدعوته: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم كنتم مُصَدِّقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١][1].

فانتزع صلى الله عليه وسلم منهم الاعتراف بصدقه، وجعلهم يُقِرُّون به على رؤوس الأشهاد، وأقامَ الحُجة عليهم، ثم أخبرهم بأنه رسولُ الله إليهم، فأبهتهم بذلك! وهذا من عظيم فطنته.

- شهادة الحَبْر اليهودي عبد الله بن سلام رضي الله عنه: حيث قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ، قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ، قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم. فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ،

(١) صحيح البخاري: باب وأنذر عشيرتك الأقربين، رقم ٤٤٩٢.

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[١]، فهذا الحبر بمجرد نظره إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف أنه ليس بوجه كذاب، فآمن به وبدعوته، وأعلن إسلامه.

(٥)-شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

لعل أهم وأبرز ما تتجسد فيه شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم مواجهته لقومه وللمشركين من حوله بمبادئ الدين الحنيف وعقائده، والتي تتعارض مع ما ألفوه وتوارثوه عن آبائهم وأسلافهم. وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم سيسعون لإيذائه بكل أصناف الأذى، وسيعلنون عليه وعلى أتباعه حرباً مفتوحة، يجندون لها كل طاقاتهم، ولكنه لم يأبه بكل ذلك، فصدع بالحق ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[الحجر: ٩٤]، وجهر به، وضرب بذلك أروع الأمثلة لأمته في الجهر بالحق، وعدم مداهنة أهل الباطل ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[القلم: ٩]، مهما تحزبوا وجندوا لحربه[٢].

يقول سيدنا عليٌّ رضى الله عنه -وهو من هو في بطولته وشجاعته-: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدنى إِلى القوم مِنْهُ»[٣]، ويقول أيضًا: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا

(١) سنن الترمذي: باب ٤٢، رقم ٢٤٨٥. وقال حديث صحيح.
(٢) السيرة النبوية للصلابي: ٢٢٧.
(٣) المسند: رقم ١٣٤٧. قال محققه: إسناده صحيح.

إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً»[١]، وقد ورد مثله عن غيره من الصحابة أيضاً.

ومن صور شجاعته صلى الله عليه وسلم:

- سبقه لكشف الأخبار عند الفزع: فقد روي عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم رَاجِعاً وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا»، قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْراً أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، قال: وكان فَرَساً يُبَطَّأُ[٢]، أي أن الفرس وإن كان معروفاً ببطئه لكني وجدته سريعاً، ومِنْ ثَمَّ سبقتُكُم إلى الصوت، وليس هناك ما يخيفكم، فارجعوا إلى بيوتكم مطمئنين.

قال النووي معلقاً على الحديث: وفيه فوائدُ، منها: بيانُ شجاعته صلى الله عليه وسلم مِنْ شدةِ عجلته في الخروج إلى العدو قبْل الناس كلهم، بحيث كَشَفَ الحالَ ورجعَ قبل وصول الناس، وفيه بيانُ عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أنْ كان يَبْطأ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: وجدناه بحراً، أي: واسع الجري[٣].

---

(١) المسند: رقم ٦٥٤. قال محققه: إسناده صحيح.
(٢) صحيح مسلم: باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٣٠٧.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/ ٦٧-٦٨.

- موقفه صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فعن سيدنا العباس رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مع رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أنا وأبو سُفْيَانَ بن الْحَارِثِ بن عبد الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم فلم نُفَارِقْهُ. وَرَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم على بَغْلَةٍ له بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا له فَرْوَةُ بن نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فلما الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قال عَبَّاسٌ: وأنا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وأبو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم، فقال رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم: «أَيْ عَبَّاسُ؛ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فقال عَبَّاسٌ -وكان رَجُلًا صَيِّتًا- فقلت بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، قال: فَوَاللهَّ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حين سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ على أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يا لَبَّيْكَ، يا لَبَّيْكَ، قال: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ... [1].

وفي بعض الروايات أن رجلاً قال لِلْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما: أَفَرَرْتُمْ عن رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنَيْنٍ؟ قال: لَكِنَّ رَسُولَ اللهَّ لم يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْماً رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عليهم فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ على الْغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم فلم يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لعلي بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبي لَا

(١) صحيح مسلم: باب في غزوة حنين، رقم ١٧٧٥.

كَذِبْ أنا بن عبد المُطَّلِبْ»[١].

أي أنه صلى الله عليه وسلم لشجاعته، وعظيم ثقته بالله تعالى، وفي اللحظة الحاسمة من المعركة، وقد انكشف لأعدائه، وانهزم من حوله، كان يناديهم بأعلى صوته متحدياً لهم، أنا النبي حقاً، لا أفِرُّ، ولا أزول من مكاني. وكان يعرفهم بنفسه بأنه ابن عبد المطلب لأنه شهرته بذلك كان أكثر[٢].

(٦)- عفو النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم متخلقاً بالعفو في أكمل صوره استجابة لأمر ربه في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف: ١٩٩]، ولعل من أروع تلك الصور:

- عفوه عليه الصلاة والسلام عن أهل مكة المكرمة بعد الفتح، مع شدة إيذائهم له ولأصحابه، واضطهادهم، وملاحقتهم إلى الحبشة، والاستيلاء على ديارهم وأموالهم التي تركوها خلفهم في مكة إبَّان هجرتهم. ولكنه عليه الصلاة والسلام حين دخلها فاتحاً، وأمكنه الله من رقابهم، وقف فيهم خطيباً وقال: «يا معشر قريش؛ ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابنُ أخٍ، وابنُ عمٍ، رحيمٌ كريمٌ، ثم أعاد عليهم القول، فقالوا مثل ذلك، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام: «لاَ تَثْرَيبَ

(١) صحيح البخاري: باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم ٢٧٠٩.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/ ١١٩-١٢٢.

عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ»، فخرجوا، فبايعوه على الإسلام[١].

-عفوه عليه الصلاة والسلام عن مَنْ هَمَّ بقتله بعد أن أمكنه الله منه: فقد روى جَابِرَ بن عبد اللهَّ رضي الله عنهما أَنَّهُ غَزَا مع رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نَجْدٍ، فلما قَفَلَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم قَفَلَ معه، فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم، وَتَفَرَّقَ الناس يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ سَمُرَةٍ، وَعَلَّقَ بها سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فإذا رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُونَا، وإذا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ. فقال: «إِنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وأنا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وهو فِي يَدِهِ صَلْتًا، فقال: من يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقلت: الله. فَهَا هو ذَا جَالِسٌ»، ثُمَّ لم يُعَاقِبْهُ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم، وَجَلَسَ[٢].

ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم العقبة وما لاقاه من مشركي قريس، فأرسل الله إليه جبريل وملك الجبال عليهما السلام وعرضوا عليه أن يُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أبى وقال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئاً»[٣]. فعفا عنهم، رغم الصدِّ والإيذاء الذي لقيه منهم.

وغيرها من الصور كثيرة جداً تزخر بها كتب السنة والسيرة النبوية لا يتسع المقام لذكر المزيد منها، وغرضنا هو التمثيل والتدليل فحسب.

---

(١) سنن النسائي: قوله تعالى: جاء الحق وزهق الباطل، رقم ١١٢٩٨؛ السنن الكبرى للبيهقي: باب فتح مكة، رقم ١٨٠٥٤.

(٢) صحيح البخاري: باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، رقم ٢٧٥٣، ٣٩٠٥.

(٣) صحيح البخاري: باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت، رقم ٣٠٥٩.

الوحدة السابعة

(جوانب أخرى من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم)

(٧)-تواضع النبي صلى الله عليه وسلم :

التواضع خلق رفيع، وصفةٌ للمترفعِ عن حظوظ نفسه، المستسلمِ للحق، المقِرِ بأن كل ما فيه من خلالٍ حميدة إنما هي من الله، وأن ما به من نِعَمِ المالِ أو الجاهِ أو السلطان أو العلم إنما هي من فضل الله عليه، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وسلم المثل الكامل للإنسانية في هذا الخُلق، وكل من يقرأ سيرته العطرة يقف على تواضعه الشديد مع الخَلْق، فهو عليه الصلاة والسلام لم يكن يتميز عن أصحابه بهيئةٍ أو لباسٍ أو مكان جلوسٍ أو غير ذلك مما يتميز به وجهاء الدنيا، يُجيب دعوة الحر والعبد، والغني والفقير، ويجلس على الأرض، ويأكل على الأرض ويحلب الشاة[١]، ويعود المرضى، ويقبل عذر المعتذر. يدخل عليه الرجل ممن لا يعرفْهُ فيسأل أيُّكم محمد؟ والنبيُ بين ظهرانيهم، فلا يعرفه حتى يجيبونه: هذا هو[٢].

ونذكر فيما يلي صوراً من تواضعه صلى الله عليه وسلم:

-روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فكلمه فجعل تُرْعَدُ فرائصه، قال جرير: فقال له

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: رقم ١٢٤٩٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠): إسناده حسن.
(٢) صحيح البخاري: باب ما جاء في العلم، رقم ٦٣.

النبي: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد في هذه البطحاء»[(١)]، ثم تلا جرير: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

-وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار خطامه حبل من ليف، وتحته إكاف من ليف[(٢)].

-وكان ينهى عن مدحه، وإلقاء ألقاب التفخيم عليه كما هو شأن أهل الدنيا، ويقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»[(٣)]، فأعظم أوصافه وأحبها إليه؛ هو ما جاء به الشرع، وتَعَبَّدَنا اللهُ به، كما في التشهد.

-وكان يُحذر من الكِبر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ»، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ

---

(١) سنن ابن ماجه: باب القديد، رقم ٣٣١٢؛ المعجم الأوسط: رقم ١٢٦٠؛ المستدرك: رقم ٣٧٣٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٤٢١): إسناده صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه: باب البراءةُ من الكبر والتواضعُ، رقم ٤١٧٨؛ سنن الترمذي: باب ٣٢ رقم ١٠١٧وقال: في سنده مسلم بن كيسان الأعور وهو يُضَعف. المستدرك: رقم ٣٧٣٤، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وركوبه الحمار في صحيح البخاري: باب الردف على الحمار، رقم ٢٨٢٥.

(٣) صحيح البخاري: باب {واذكر في الكتاب مريم..}، رقم ٣٢٦١.

حَسَنَةً. قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ الناس»[١]، وبطر الحق: يعني دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وغمط الناس: يعني احتقارهم، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ المعنى الصحيح للكِبْر، وصحح المفهوم الخاطئ الذي يعتقده بعض الناس إلى يومنا هذا -إذ يعتبرون الاهتمام بالمظهر ولبس الجديد والجميل من الثياب والنعال من الكِبر- فبين أن ذلك ليس منه، ولا يتنافى مع خُلُق التواضع، بل هو مما يحبه الله تعالى، وأما الكِبْر فهو عدم الاستسلام للحق، وازدراء الناس.

-لقد بلغ من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، ورغبته في جبر الخواطر أن قال: «لو دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٢]، والكُراع: أقلّ شأناً من الذراع، وهو ما استدق من ساق الغنم، كناية عن الشيء الحقير.

قال الحافظ ابن حجر: «الحديثُ دليلٌ على حُسن خُلقه صلى الله عليه وسلم، وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل»[٣].

وليس هذا مجرد قول من النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل دُعي حقيقة إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجاب[٤] من غير تردد، والإهالة السنخة: تعني الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث، ودعاه خَيَّاطٌ ذات

(١) صحيح مسلم: باب تحريم الكِبر وبيانه، رقم ٩١.
(٢) صحيح البخاري: باب القليل من الهبة، رقم ٢٤٢٩.
(٣) فتح الباري: ٩/ ٢٤٦.
(٤) المسند: عن أنس رقم ١٣٨٨٧. وقريب منه في البخاري: باب شراء النبي بالنسيئة، رقم ١٩٦٣.

يوم لِطَعَامٍ صَنَعَهُ قال أنس: فَذَهَبْتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَرَّبَ خُبْزَ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فيه دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ من حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ، فلم أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ يَوْمِئِذٍ[١].

(٨)-زُهد النبي صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، خَيَّرَهُ الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً، أو يكون عبداً نبياً، فاختار أن يكون عبداً نبياً[٢]، كان ينام على الفراش تارةً، وعلى النطع -أي الجلد- تارةً، وعلى الحصير تارةً، وعلى الأرض تارةً، وعلى السرير تارةً على رِماله، وتارةً على كساء أسود. وكان فراشه أدماً، حشوه ليف[٣]، وكان له مِسحٌ -أي لباس من شعر أو ثوب خشن- ينام عليه، يثنى بثنيتين، وثني له يوماً أربع ثنيات، فنهاهم عن ذلك وقال: «ردوه إلى حاله الأول فإنه منعني صلاتي الليلة»[٤].

-قال أنس بن مالك رضي الله عنه: دخل عمر وناس من الصحابة، فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم، فرأى عمر أثر السرير في جنبه

---

(١) صحيح البخاري: باب المرق، رقم ٥١٢٠.

(٢) سنن النسائي: باب الأكل متكئاً، رقم ٦٧٤٣؛ السنن الكبرى للبيهقي: باب ما روي عنه في قوله: أما أنا فلا آكل متكئا، رقم ١٣١٠٥؛ المسند: رقم ٧١٦٠ وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح مسلم: باب التواضع في اللباس ...، رقم ٢٠٨٢.

(٤) الشمائل المحمدية للترمذي: ٢٧٠؛ زاد المعاد: ١/ ١٥٥.

فبكى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يُبكيك يا عمر؟» قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت على الحال الذي أرى! فقال يا عمر: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» قال : بلى، قال: «هو كذلك»[١].

-وكان من زهده صلى الله عليه وسلم أن النار لم تكن توقد في بيته في الشهر والشهرين مرة، ليس لأنه لا يملك! بل لأنه يُنفقُ ولا يُمسك لنفسه أو لعياله شيئاً من المال الذي يأتيه. فعن عُرْوَةَ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت لِعُرْوَةَ: ابنَ أُخْتِي: إن كنا لَنَنْظُرُ إلى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وما أُوقِدَتْ في أَبْيَاتِ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم نَارٌ! فقلت: يا خَالَةُ: ما كان يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إلا أَنَّهُ قد كان لِرَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ من الْأَنْصَارِ، كانت لهم مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم من أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينا[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وكان أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ[٣].

---

(١) المسند: رقم ١٢٤١٧ وقال المحقق: صحيح لغيره. وانظر أيضاً مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٢٦.
(٢) صحيح البخاري: باب فضلها (الهبة) والتحريض عليها، رقم ٢٤٢٨.
(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في معيشة النبي وأهله، رقم ٢٣٦٠. وقال: حديث حسن صحيح.

وليس هذا فحسب؛ بل تقول السيدة عائشة: ما شَبِعَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم من خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حتى قُبِضَ[١].

وليس هذا عن قِلّة، ولعدم توافر المال بين يديه! بل لسماحة نفسه، ومزيد ثقته بربه[٢]، ولإعراضه عن الدنيا، وإيثاره لغيره على نفسه؛ وإلا فقد عُرِض عليه أن يكون مَلِكاً نبياً كما أسلفنا، ولو رغب في المال لوجد فيما بين يديه من أموال الغنائم والفيء ما يلبي حاجته ليس لأيام فحسب، بل لأشهرٍ وسنينَ، ولكنه كان يؤثر ما عند الله، يقول خادمه أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدّخر شيئاً لغدٍ[٣].

وليس معنى هذا النهي عن ادّخار المال أو الاحتفاظ به، بل بمعنى أنه لم يكن يحتفظ بالمال لديه وهو يجدُ مِنْ حوله مَن يحتاجه، بل كان يبادر إلى تقديمه له لسدِّ حاجته؛ لأنه كان يعتبر نفسه خازناً للمال الذي بين يديه، ووكيلاً عليه، وقاسماً له : «إنما أنا قاسم والله يعطي»[٤].

-وكان يشبه إقامته في هذه الدنيا بإقامة المسافر في بلدة نزل بها لبرهة من الزمن، فماذا عساه أن يفعل من أجل إقامته لتلك البرهة من الزمن هناك. يقول عبد اللهَّ بن مسعود: نَامَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم على حَصِيرٍ فَقَامَ وقد أَثَّرَ في جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهَّ، لو اتَّخَذْنَا لك وِطَاءً،

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في معيشة النبي وأهله، رقم ٢٣٥٧. وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) شرح الجامع الصغير للمناوي: ٢/ ٢٦٤.
(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في معيشة النبي وأهله، رقم ٢٣٦١. وقال: حديث غريب. وقال المناوي في شرح الجامع الصغير(٢/ ٢٦٤): إسناده جيد.
(٤) صحيح البخاري: باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم ٧١.

فقال: «ما لي وما لِلدُّنْيَا، ما أنا في الدُّنْيَا إلا كَرَاكِبٍ استظل تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[١].

(٩)-صبر النبي صلى الله عليه وسلم:

الصبر خُلُق محمودٌ، ومطلوبٌ من كل مسلم ولكن بدرجات متفاوتة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران: ٢٠٠]، وكلما كان الطموح في التقرب إلى الله أكبر، كانت الحاجة إلى الصبر أشد، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[البقرة: ٤٥]، ومن ثم كانت حاجة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التسلح بهذا الخُلُق أعظم، صبرٌ على الطاعة، وقد رأينا كيف كان يعبد الله حتى تتورم قدماه الشريفتان، وصبرٌ عن المعصية، وقد رأينا كيف أنه كان يستغفر الله من خواطر النفس ولحظات الغفلة في اليوم مائة مرة، وصبرٌ على الأذى الذي يأتي من قبل الناس قولاً أو عملاً، وقد كان حظ النبي من هذا النوع من الصبر أيضاً كبيراً، فلقد أوذي كثيراً من المشركين في مكة، ومن المنافقين في المدينة المنورة، ومن صور الإيذاء تلك:

-أُوذي صلى الله عليه وسلم من قِبل قومه مراتٍ ومرات، ولكن أعظم تلك المرات كما أخبر يوم العقبة، فقد لقي منهم قدراً عظيماً من الصدِّ والطرد والأذى، فتوجه إلى ربه يبثُّ إليه شكواه وما يعانيه من كربٍ وشدة، وإذا بجبريل ومعه ملك الجبال يأتيانه من الله سبحانه،

(١) سنن الترمذي: باب ٤٤، رقم ٢٣٧٧. وقال: حديث حسن صحيح.

ليأمرهما فيهم بما شاء، وأخبره ملك الجبال أن معه الإذن بأن يُطبق عليهم الأخشبين -جبلا مكة: أبو قبيس والأحمر- ولكنه صلى الله عليه وسلم أبى وصبر، وقال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئاً»[١].

-ومن ذلك ما رواه طارق المحاربي، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وكعبيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: هَذَا غُلامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ. قَالَ: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ[٢].

وعن الْحَارِث بن الْحَارِثِ الْغَامِدِي قال: قلت لأَبِي: ما هذه الْجَمَاعَةُ؟ قال: هَؤُلاءِ الْقَوْمُ قَدِ اجْتَمَعُوا على صابئ لهم، قال: فَنَزَلْنَا فإذا رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وسلم يدعو الناس إلى تَوْحِيدِ اللهَّ عز وجل، وَالإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ يَرُدُّونَ عليه وَيُؤْذُونَهُ، حتى انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَانْصَدَعَ عنه الناس، واقبلت امْرَأَةٌ قد بَدَا نَحْرُهَا، تَحْمِلُ قَدَحًا وَمِنْدِيلاً، فَتَنَاوَلَهُ منها، وَشَرِبَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وقال: «يا بنيَّةُ خَمِّرِي عَلَيْكِ نَحْرَكِ، وَلا تَخَافِي على أَبِيكِ غَلَبَةً وَلا ذُلاً»، قُلْنَا: من هذه؟ قالوا: زَيْنَبُ بنتُهُ[٣].

---

(١) صحيح البخاري: باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت، رقم ٣٠٥٩.

(٢) صحيح ابن حبان: باب ذكر مقاساة المصطفى، رقم ٦٥٦٢؛ المسند: رقم ١٦٠٢٢ و١٦٠٢٣. وقال المحقق صحيح لغير.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: رقم ١٠٥٢ و ٣٣٧٣. قال في مجمع الزوائد (٦/ ٢١): رجاله ثقات.

-كما أنه عليه الصلاة والسلام أوذي كثيراً من قِبَلِ المنافقين وتكلموا في عرضه، وخصوصاً رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول حين تكلم في السيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم صَبَرَ واحْتَسَبَ، ليس عن ضعف أو خوف! ولكن تضحيةً في سبيل الدعوة إلى الله، وتأليفاً للقلوب نحوها، فقد روت كتب السنة أن شجاراً وقع بين المهاجرين والأنصار، فتدخل الرسول وأنهى الشجار، ولكن عبد الله بن سلول سمع بذلك، فاستغل الحادثة للنيل من الرسول والمهاجرين، فقال: أو قد فَعَلُوا! والله لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ منها الْأَذَلَّ، فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يا رَسُولَ اللهَّ أَضْرِبْ عُنُقَ هذا الْمُنَافِقِ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ الناس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١).

بل إنّ ابنه واسمه أيضاً عبد الله أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه. فقال له صلى الله عليه وسلم: «بل تَرْفقُ به وتُحسن صحبته»(٢).

غير أنّ هذا الصبر وهذا الحلم كان يختفي تماماً حين تنتهك حدود الشرع، فكان يتصرف بحزم وشدة ليكون زاجراً ورادعاً للمنتهك

(١) صحيح البخاري: بَاب قَوْلُهُ: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ }، رقم ٤٦٢٤.
(٢) فتح الباري: ٨/ ٦٥٠.

لحدود الله. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩].

(١٠)-مِزاحُ النبي صلى الله عليه وسلم:

كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمزح مع أصحابه لمؤانستهم، ولإدخال السرور على قلوبهم، وليعلمهم أن في ديننا فسحة، فالنفوس تَمَلُّ وتَسْأمُ، وتحتاج إلى الترويح والترفيه؛ إلا أنه عليه الصلاة والسلام (لم يكن يقول في مِزاحه إلا حقاً)[١]، ولم يكن يكثر منه؛ لأنه كثرته تُقسي القلب، وتُشغل عن ذكر الله، وعن التفكير في مهمات الدين، وقد تنتهي إلى منازعاتٍ وأحقاد، وتُسقط المهابة والوقار، بل كان يمزحُ على ندرةٍ ولمصلحةٍ، أو لتطييبِ نفس المخاطَب ومؤانسته[٢].

وفيما يلي صورٌ من مِزاحه عليه الصلاة والسلام:

-وردَ أنّ امرأةً عجوزاً سألته، فقالت: "يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أُم فلان، إنّ الجنة لا تدخلها عجوز، فَولَّتْ تبكي، فقال: »أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[الواقعة: ٣٥-٣٧]»[٣].

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في المزاح، رقم ١٩٩٠. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الأذكار: ٢٥٨.

(٣) الشمائل المحمدية: ١٩٧ رقم ٢٤١. وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٩): أخرجه في الشمائل مرسلا، وأسنده ابن الجوزي في الوفا من حديث أنس بسند ضعيف.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ الله، احمِلْنا على بعير، فقال: «أَحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ»، قال: وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هل تَلِدُ الإبِلَ إلا النُّوقُ؟»[١]، أي أن ذهن السائل انصرف لدى سماعه (ولد الناقة) إلى أن الرسول سيعطيه بعيراً صغيراً لا يصلح للركوب، فاستغرب قائلاً: وماذا سأصنع بالصغير؟ فنبهه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن الكبير أيضاً ولد الناقة، وإلا فمن أين أتى؟.

-وعن أنس بن مالك أن رجلاً من أهل البادية يقال له: زاهر بن حرام ،كان يُهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية، فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « إن زاهراً بادينا، ونحن حاضروه»، قال: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه، فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه وسلم جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يشتري هذا العبد؟»، فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسداً، قال: «لكنك عند الله لست بكاسد»، أو قال صلى الله عليه و سلم: «بل أنت عند الله غال»[٢].

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في المزاح، رقم ١٩٩١. وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) صحيح ابن حبان: باب المزاح والضحك، رقم ٥٧٩٠؛ شمائل الترمذي: ١٩٦-١٩٧ رقم ٢٤٠.

(١١)-حياؤه صلى الله عليه وسلم:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقاً، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[١]، أي: أن لكل دين طبعاً وسجيةً، وطبع هذا الدين وسجيته التي بها قِوامُه وجَمالُه هو الحياء[٢].

وهو خُلُق يخص الإنسان وحده، ومن أفضل خصال الأخلاق وأجلها قدراً نفعاً، ولولاه لم يستر المرء له عورة، ولم يمتنع من فاحشة، بل إن كثيراً من الناس لولا الحياء لم يؤدِّ واجباً، ولم يراع حقاً لمخلوقٍ. فإن من الناس من لا يردعه الدين، وإنما يردعه الحياء من الناس[٣].

وفيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان شديد الحياء، حتى قال فيه أَبِو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنه كان أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وكان إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ[٤]، والخِدر: الستر أو الخلوة. وإنما قال أبو سعيد ذلك: لأن حياء العذراء في الخلوة يشتد أكثر مما لو كانت في غير خلوة، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، ويضيف أبو سعيد أنه ﷺ لم يكن يواجه أحداً ويصارحه بما يكرهه منه لشدة حيائه، بل كان يتغير وجهه، فيفهم أصحابه كراهيته لذلك الأمر[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه: باب الحياء، رقم ٤١٨١ و٤١٨٢. قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٢١٩): حسن لغيره.

(٢) فيض القدير: ٢/ ٥٠٨.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٢٧٧-٢٧٨.

(٤) صحيح البخاري: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم ٥٧٥١.

(٥) فتح الباري: ٦/ ٥٧٧.

ولم يكن يوجه الكلام لأحدٍ بشكل مباشر أو يسميه باسمه إذا بلغه عنه ما يكرهه، بل يبهم ويعمم، فيقول: ما بال أقوامٍ يصنعون كذا وكذا[١]، لئلا يفضحه أو يجرح مشاعره.

-روى أنس رضي الله عنه أنه: لَمَّا تَزَوَّجَ الرَسُولُ ﷺ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ، دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ؛ فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا؛ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الأحزاب: ٥٣].

غير أنّ حياء النبي ﷺ لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له؛ لأن الحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بحقوق الله أو العباد ليس بحياء في الحقيقة، بل هو عجز ومهانة[٢].

---

(١) صحيح البخاري: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم ٥٧٥٠.
(٢) فتح الباري: ١٠/ ٥٢٢.

(١٢)-عدل النبي صلى الله عليه وسلم :

العدل هو المساواة في المكافأة في خيرٍ أو شرٍ، والإحسانُ مقابلةُ الخيرِ بأكثر منه، والشرِ بتركه أو بأقل منه[١]، أو بأسلوبٍ آخر: العدلُ هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسانُ أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان فوق العدل، والعدل واجب، والإحسان ندب وتطوع[٢].

ومن يقرأ في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان المثل الكامل في الأمرين، ففيما يتعلق بإنصاف غيره من نفسه، أو بإنصاف بعضهم من بعض، فإنه كان يأخذ بالعدل. وفيما يتعلق بالانتصاف لنفسه من غيره، فإنه كان يأخذ بالإحسان.

روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْماً، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ. لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ»، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهَّ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٢٥؛ فتح الباري: ١٠/ ٤٨٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ١١٩.

يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[١].

-ولما سرقت المرأة المخزومية أهمَّ قُرَيْشًا شأنها، فَقَالُوا من يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم؟ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عليه إلا أُسَامَةُ حِبُّ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم! فَكَلَّمَ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ اللهَّ؟» ثُمَّ قام فَخَطَبَ قال: «يا أَيُّهَا الناس؛ إنما ضَلَّ من كان قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عليه الْحَدَّ، وأيم اللهَّ لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»[٢].

-وكان أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ -وهو من صالحي الأنصار ونقبائهم- يُحَدِّثُ قَوْمَه ذات مرة ويُضْحِكُهُمْ بمزاحه ومليح كلامه، والنبي صلى الله عليه وسلم معهم في المجلس، فطَعَنَهُ النبي في خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ، فقال: أَصْبِرْنِي (أي؛ أقدني من نفسك). فقال: «اصْطَبِرْ»، قال: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً، وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، فَرَفَعَ النبي صلى الله عليه وسلم عن قَمِيصِهِ. فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ (أي؛ بطنه فوق مشد الإزار). قال: إنما أَرَدْتُ هذا يا رَسُولَ اللهَّ[٣].

---

(١) صحيح البخاري: باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٤١٤؛ صحيح مسلم: باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم ١٠٦٣ و ١٠٦٤. قال النووي في شرحه على مسلم (٧/ ١٥٩): خبت وخسرت بفتح التاء وضمها، والفتح أشهر.

(٢) صحيح البخاري: باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم ٦٤٠٦.

(٣) سنن أبي داود: باب في قبلة الجسد، رقم ٥٢٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي: باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه، رقم ١٥٧٩٨-١٥٨٠٠؛ المعجم الكبير للطبراني: رقم ٥٥٦ و٥٥٧. وقد روي

-كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفى يده سهم يعدلهم به. فَمَرَّ بسواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار وهو متقدم على الصف بعض الشيء، فطعن الرسول صلى الله عليه وسلم في بطنه بالسهم، وقال: «استو يا سواد»، فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، فقال: «استقد»، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى (أي؛ المعركة)، فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدى جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير[1].

-ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته لشرع الله تعالى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فِلَقَ الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غَارتْ أُمُّكم، غارتْ أُمُّكم»، ثم حبس الخادم حتى أُتِيَ بِصَحفَة من عند التي هو في بيتها، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي

بأسانيد متعددة منها منقطع، ومنها ضعيف، ومنها قوي. انظر: المقاصد الحسنة: ٤٣٨ وكشف الخفاء: ٢/ ٥٣.

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤١٠.

كَسَرَتْها[١].

هذه بعض صور عدله وإنصاف الناس من نفسه، أو من بعضهم البعض، وأما صور إحسانه فقد مر معنا بعض الأمثلة كمعاملته لقريش بعد فتح مكة، ومن آذوه في جسده الشريف، أو بكلامهم فيه أو في عرضه، ولم يقتص منهم بل عفا وأصفح.

(١٣)-أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله :

حثَّ الرسول عليه الصلاة والسلام على حسن التعامل مع الأهل، فقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[٢]، وكما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، فقد كان خير الناس لأهله في طيب كلامه معهن، وحسن عشرته لهن، وإكرامه لمشاعرهنّ، ذكرت السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا»، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ أُسَابِقْكِ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ، خَرَجْتُ أَيْضاً مَعَهُ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا»، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ أُسَابِقْكِ»، وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ، وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: «لَتَفْعَلِنَّ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ

(١) صحيح البخاري: باب الغيرة، رقم ٤٩٢٧.
(٢) سنن الترمذي: باب فضل أزواج النبي، رقم ٣٨٩٥. وقال: حسن غريب صحيح.

السَّبْقَةِ»[١].

وتروي السيدة عائشة أم المؤمنين أيضاً فتقول: والله لقد رأيت رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ على بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ في مَسْجِدِ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم، يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ من أَجْلِي حتى أَكُونَ أنا التي أَنْصَرِفُ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً على اللَّهْوِ[٢].

وحين سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ في بَيْتِهِ، أجابت: كان يَكُونُ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ-، فإذا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ[٣].

وفي أحاديث أخرى كانت إجابتها أكثر تفصيلاً، فقد ذكرت صور خدمته صلى الله عليه وسلم في بيته، فقَالَتْ: كان يفعل مَا يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ[٤].

وفي حديث آخر: ما كَانَ إِلَّا بَشَراً مِنَ الْبَشَرِ، كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ[١].

---

(١) سنن النسائي: باب مسابقة الرجل زوجته، رقم ٨٩٤٥؛ سنن أبي داود: باب في السبق على الرِجْل، رقم ٢٥٧٨.

(٢) صحيح مسلم: باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم ٨٩٢.

(٣) صحيح البخاري: باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم ٦٤٤.

(٤) المسند: رقم ٢٤٧٩٤ و٢٥٣٤١؛ صحيح ابن حبان: باب ذكر ما يستحب للمرء أن لا يأنف من العمل المستحقر في بيته بنفسه وإن كان عظيماً في أعين البشر، رقم ٥٦٧٦. قال محقق الكتابين: حديث صحيح.

وهذ كله من تواضعه عليه الصلاة والسلام، ورغبته في أن يخدم نفسه، ولا يكون عبئاً على أهله.

وكان مِن حبه ووفائه الشديد لزوجه خديجة رضي الله عنها، أنه كان يكثر ذكرها بعد وفاتها، ويكثر من الثناء عليها، وكان يصل صاحباتها إكراماً لها حتى إنه كان يذبح الشاة ويفرقها بين صديقاتها. تقول السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها: ما غِرْتُ على أَحَدٍ من نِسَاءِ النبي صلى الله عليه وسلم ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ، وما رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قلت له :كَأَنَّهُ لم يَكُنْ في الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلا خَدِيجَةُ! فيقول: «إِنَّهَا كانت، وَكَانَتْ، وكان لي منها وَلَدٌ»[٢]، أي أنها كانت فاضلة، وكانت عاملة، وكانت تقية، ونحو ذلك.

(١٤)-أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال:

كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم[٣]، ويسمع جواري -فتيات صغيرات- يغنين في بيته ويلعبن فلا يمنعهن، تقول السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنه: دخل عَلَيَّ أبو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ من جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ يوم بُعَاثَ، قالت: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فقال أبو بَكْرٍ: أَبِمَزْمُورِ الشَّيْطَانِ في بَيْتِ رسول اللهِ صلى الله

(١) صحيح ابن حبان: الباب السابق، رقم ٥٦٧٥. قال محققه: إسناده قوي على شرط مسلم.
(٢) صحيح البخاري: باب تزويج النبي خديجة وفضلها، رقم ٣٦٠٧.
(٣) صحيح البخاري: باب التسليم على الصبيان، رقم ٥٨٩٣.

عليه وسلم وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فقال رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم: «يا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا»[١].

وكان من شدة شفقته على الأطفال ورحمته بهم، أنه كان وهو في الصلاة -التي هي أعظم عبادة- ومع أصحابه يؤمهم جماعة، يسمع بكاء الصبي فيخفف من صلاته رحمة به وبأمه لِما يعلمه من وَجْد الأم وعطفها على ولدها. روى أنس أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ بُكَاءَ صَبِيٍّ فِي الصَّلَاةِ، فَخَفَّفَ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ خَفَّفَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ فِي الصَّلَاةِ رَحْمَةً ويقول صلى الله عليه وسلم: «إِنِي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّهِ»[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يَؤُمُّ الناس وَأُمَامَةُ بِنْتُ أبي الْعَاصِ -وهى ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النبي صلى الله عليه وسلم- على عَاتِقِهِ، فإذا رَكَعَ وَضَعَهَا، وإذا رَفَعَ من السُّجُودِ أَعَادَهَا[٤].

ودخل الحسن والحسين رضي الله عنهما المسجد ذات مرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في الناس، فنظر إليهما فإذا هما يمشيان ويعثران، فخشي أن يصيبهما الأذى من تعثرهما، فنزل إليهما، ووضعهما بين يديه على المنبر وقال: «صَدَقَ الله، أنما أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،

---

(١) صحيح مسلم: باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم ٨٩٢.
(٢) المسند: ١٢٨٧٧. قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٣) صحيح البخاري: باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، رقم ٦٧٥.
(٤) صحيح مسلم: باب جواز حمل الصبي في الصلاة، رقم ٥٤٣.

نَظَرْتُ إلى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فلم أَصْبِرْ حتى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»[١].

وكان ذات مرة يُقَبِّل الحسن وعنده الأَقْرَعُ بن حابِسٍ. فقال الأَقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً من الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهم أَحَداً! فَنَظَرَ إليه رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[٢]، وعندما قال لَه أحدهم مستغرباً: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ! فما نُقَبِّلُهُمْ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَ أَمْلِكُ لكَ أَنْ نَزَعَ الله من قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»[٣].

فبين أن تقبيل الولد ومداعبته وإدخال السرور على قلبه من الدين، ومما يحبه الله، وأبعد الناس من الله القلب القاسي.

(١٥)-أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع العبيد والخدم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالعبيد والخدم غاية الرحمة، ويكرمهم غاية الإكرام، وكان يوصي المسلمين بهم خيراً. والمواقف والمشاهد التي تدل لذلك وتؤكده كثيرة جداً منها:

- كان زيد بن حارثة عبداً لخديجة، فأهدته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد زواجهما، وقَدِم والده إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب إعتاقه ويبدي استعداده لشرائه بالمال. فأخبره الرسول بأنه سيناديه ويخيره،

(١) سنن أبي داود: باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، رقم ١١٠٩؛ سنن الترمذي: باب مناقب الحسن والحسين، رقم ٣٧٧٤. وقال حسن غريب.
(٢) صحيح البخاري: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥١.
(٣) صحيح البخاري: باب حسن الخلق والسخاء، رقم ٥٦٩١.

فقَبِل والده بذلك، وسُرَّ به؛ لأنه لم يكن يساوره أية شكوك بأنه سيختاره والده وأهله، فناداه الرسول وخيره بين البقاء عنده أو اللحاق بوالده، فكان جوابه: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أبداً، قال والده: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية؟ وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم؛ قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً[١]، فانصرف والده واطمأن على وضع ابنه، وتبناه الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصبح ينادى بزيد بن محمد حتى نَزَلَ في الْقُرْآنِ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٢].

- كان أسامة بن زيد بن حارثة يُلَقَّبُ بحِبِّ رسول الله وابن حِبِّه، وذات مرةٍ أمَّرَه النبي صلى الله عليه وسلم على غزوة، فوجد بعض المسلمين في نفسه شيئاً من ذلك، ربما لصغر سنه، وربما بالنظر إلى والده وكونه مولى، فلم يعجبهم أن يؤمَّرَ على شيوخهم ووجهائهم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام فيهم خطيباً، وقال: «إن تَطْعَنُوا في إِمْرَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ في إِمْرَةِ أبيه من قَبْلُ، وأيم اللهِّ إن كان لَخَلِيقاً لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ، وَإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بَعْدَهُ»[٣].

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٢٠.

(٢) صحيح مسلم: باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، رقم ٢٤٢٥.

(٣) صحيح مسلم: باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، رقم ٢٤٢٦.

وحين أهمّ قريشاً أمر المخزومية التي سرقت، لم يجد من يمكن أن يشفع فيها إلا أسامة بن زيد لِما يعلمون من مكانته لدى النبي صلى الله عليه وسلم[١].

- كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بحسن معاملة العبيد ويقول: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[٢]، وكان يأمر بمناداتهم بما يشعرهم بكرامتهم، فيقول: «لَا يَقُولَنَّ أحدكم عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهَّ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهَّ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي»[٣].

- ويقول أنس رضي الله عنه: خَدَمْتُ النبي صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ فما قال لي أُفٍّ، ولا لِمَ صَنَعْتَ، ولا ألا صَنَعْتَ[٤].

- وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: ما ضَرَبَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم شيئاً قَطُّ بيده، ولا امْرَأَةً، ولا خَادِماً، إلا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبِيلِ اللهَّ، وما نِيلَ منه شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ من صَاحِبِهِ إلا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ من مَحَارِمِ اللهَّ فَيَنْتَقِمَ للهَّ عز وجل[٥].

---

(١) صحيح البخاري: باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم ٦٤٠٦.
(٢) صحيح البخاري: باب قول النبي: العبيد إخوانكم فأطعموهم، رقم ٢٤٧٠.
(٣) صحيح البخاري: باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، رقم ٢٤١٤؛ صحيح مسلم: باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة، رقم ٢٢٤٩. واللفظ لمسلم.
(٤) صحيح البخاري: باب حسن الخلق والسخاء، رقم ٥٦٩١.
(٥) صحيح مسلم: باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، رقم ٢٣٢٨.

(١٦)-هديه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالحيوان:

لم يكن قلب النبي صلى الله عليه وسلم المفعم بالرحمة والشفقة ليستثني الحيوانات من تلك الرحمة والشفقة، ومن ثَمَّ وجدناه يخصها بأحكام شرعية تؤصل لذلك. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ على كل شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[١]، وقد قال النووي في هذا الحديث الشريف بأنه من الأحاديث الجامعة لقواعد الاسلام[٢].

وكان بعض الفتيان يلجؤون على سبيل اللعب إلى نصب بهائم للرمي إليها، فرآهم بعض الصحابة، فأنكروا عليهم لما فيه من إيذاء وتعذيب لها يتنافى مع رحمة الإسلام، من ذلك: أن أنس بن مالك رضي الله عنه دخل دار الحكم بن أيوب فوجد قَوْماً قد نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فقال: نهى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ[٣].

ومَرَّ عبد الله بن عُمَرَ بِفِتْيَانٍ من قُرَيْشٍ قد نَصَبُوا طَيْراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ وقد جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ من نَبْلِهِمْ، فلما رَأَوْا ابن عُمَرَ تَفَرَّقُوا. فقال ابن عُمَرَ: من فَعَلَ هذا؟ لَعَنَ اللهُ من فَعَلَ هذا، إِنَّ رَسُولَ

(١) صحيح مسلم: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، رقم ١٩٥٥.
(٢) شرح النووي على مسلم: ١٣/ ١٠٧.
(٣) صحيح مسلم: باب النهي عن صبر البهائم، رقم ١٩٥٦.

اللهَّ صلى الله عليه وسلم لَعَنَ من اتَّخَذَ شيئاً فيه الرُّوحُ غَرَضاً[١].

وغفر الله لرجل في كلب رآه «يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى من الْعَطَشِ فقال: لقد بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ الله له، فَغَفَرَ له»، قالوا: يا رَسُولَ اللهَّ، وَإِنَّ لنا في الْبَهَائِمِ أَجْراً؟ قال: «في كل كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٢].

وعُذِّبَتْ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حتى مَاتَتْ جُوعاً فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ[٣].

وختاماً نقول: إنّ هذه الصور لم تكن سوى غيض من فيض عن أخلاق الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه، وإن المجلدات العظام لن تحيط بوصفه، وإن البشر مهما قالوا، ومهما كتبوا في أخلاقه، فإنهم لن يبلغوا ثناء الله عليه وعلى أخلاقه: وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ، فالإله العظيم عندما يصف خُلُقَ الحبيبِ بأنه عظيم، فماذا عسى أن يبلّغ وصف البشر لأخلاقه صلى الله وسلم عليه.

غير أنّ الذي يجب أن لا نغفل عنه، هو السعي في إحياء هذه الأخلاق النبوية في حياتنا، فنتحلى بها، ونربي عليه الأجيال، وندعو المسلمين إلى التحلي بها. بل نسعى لنشرها بين غير المسلمين، خصوصاً في هذا الوقت الذي تكاد فيه الأخلاق الحميدة والمثل العليا أن تختفي من حياة الناس، وتصبح المادة والمصلحة والمنفعة هي الغاية القصوى من الوجود. إن

(١) صحيح مسلم: باب النهي عن صبر البهائم، رقم ١٩٥٨.
(٢) صحيح البخاري: باب فضل سقي الماء، رقم ٢٢٣٤.
(٣) صحيح البخاري: باب فضل سقي الماء، رقم ٢٢٣٦.

البشرية اليوم ظامئة، وهي بأمس الحاجة إلى إحياء القيم التي جاء بها رسولنا الكريم.

إن أعظم خدمة نقدمها لديننا الحنيف، وأيسر سبيل للدعوة إلى الله، هو أن نُعرِّفَ الآخرين بنبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، أن نُعرِّفَهم بأخلاقه وشمائله وسجاياه، ليتخذوه أسوةً ومَثَلاً أعلى في حياتهم كما يحبه الله ويرضاه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

نسأل الله أن يخلقنا بأخلاق نبيه الكريم، وأن يعيننا على نشرها والدعوة إليها.

الوحدة الثامنة

أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها

تعريف المهنة:

المهنَة لغة: بكسر الميم وفتحها، والفتح أشهر، وتطلق على الخدمة والعمل، كما تطلق على الحِذق والمهارة فيها[١]، وبمعنى الخدمة ورد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما على أَحَدِكُمْ إن وَجَدَ أو ما على أَحَدِكُمْ إن وَجَدْتُمْ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ»[٢]، أي سوى ثوبي الخدمة والعمل، إذ أنّ ثوب الخدمة والعمل يكون مبتذلاً، ولا تتم المحافظة على نظافته ولا يصان، وبهذا المعنى أيضاً ما ورد عَنْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سئلت عن مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ[٣]، وفي حديث آخر قالت: كان يفعل مَا يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ[٤].

---

(١) لسان العرب؛ القاموس المحيط: مادة (مهن) باب النون، فصل الميم.

(٢) سنن أبي داود: باب اللبس للجمعة، رقم ١٠٧٨؛ صحيح ابن حبان: ذكر الأمر للمرء أن يتخذ ثوبين نظيفين ولا يلبسهما إلا يوم الجمعة إذا كان ممن أنعم الله عليه، رقم ٢٧٧٧. وقال محققه: "صحيح بشاهده".

(٣) صحيح البخاري: باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، رقم ٦٤٤.

(٤) المسند: رقم ٢٤٧٩٤ و٢٥٣٤١؛ صحيح ابن حبان: باب ذكر ما يستحب للمرء أن لا يأنف من

وفي الاصطلاح المعاصر تطلق المهنة على:

الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من الممارسات والخبرات التدريبية، يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل.

أو هي: عمل يحتاج إلى معارف عقلية وخبرة ميدانية. كالطب، والهندسة، والتدريس، والمحاسبة [١].

مرادفات لفظ المهنة:

هناك ألفاظ قريبة في معناها من المهنة وربما التبست بها، كالحرفة والصنعة والعمل والوظيفة .. وفيما يلي بيان لمعانيها وأوجه الفرق بينها:

١ - الحرفة:

وهي لغةً: بالكسر؛ الصنعة أو وسيلة الكسب التي يَرْتزق منها المرء بصفة مستمرة، من زراعة أو صناعة أو تجارة، وتحتاج إلى تدريب قصير. وسميت بذلك لأنه مُنْحرِف إليها، ويقال حِرْفَتُهُ أنْ يفعل كذا: أي؛ دأبه وديدنه. والاحتراف: هو الاكتساب [٢].

وليس للاحتراف معنى اصطلاحي خارج عن المعنى اللغوي، وغالباً ما تستعمل في الأعمال اليدوية سواء كانت بآلة أو بغير آلة، من ذلك ما

العمل المستحقر في بيته بنفسه وإن كان عظيماً في أعين البشر، رقم ٥٦٧٦. قال محقق الكتابين: حديث صحيح.

(١) التربية المهنية، خالد أبو شعيرة: ١٢٠.

(٢) المعجم الوسيط: باب الحاء.

ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما استُخْلِف، وكان تاجراً، فأراد أن يخرج لتجارته، فقال له عمر: إلى أين؟ قال: أحترف لأهلي، قال: ومَن لمصالح المسلمين وإدارة شؤونهم، ارجع ويُصرف لك من بيت المال حاجتك، فرجع فجعلوا له ألفين، فقال: زيدوني فإن لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة، وقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ -أي أبو بكر- لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ[1]، فعمل أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه كان في التجارة، وقد سماه حرفة.

٢- العمل:

العمل لغةً: يُطلق على المهنة، وعلى الفعل.

والفارق بينه وبين كلٍ من المهنة والحرفة:

أ- أن العمل قد يكون من الإنسان أو الحيوان، والحرفة لا تكون إلا من الإنسان، فالثور الذي يحرث الأرض يعمل، والطائر الذي يبني لنفسه عشاً يعمل، ولكن لا يُقال إنه محترفٌ أو ذو مهنة.

ب- العمل قد يكون ذهنياً، وقد يكون بدنياً، وأما الحرفة فالغالب أنها تُطلق على الأعمال اليدوية.

---

(١) صحيح البخاري: باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: ٢٠٧٠.

ج- العمل يستعمل للمرة الواحدة ولأكثر، ولا يحتاج إلى التدريب، بخلاف المهنة أو الحرفة فلا بد فيها من بعض التدريب والاستمرارية.

٣- الصنعة:

الصنعة لغة: ترتيب العمل وإحْكامه على النحو الذي تعلمه، وبما يوصل إلى المقصود منه، فيقال للنجار صانع، ولا يقال للتاجر صانع؛ لان النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب، وكذا سبق علمه بالأسباب التي توصله إلى المقصود منه، وأما التاجر فلا يعلم إذا اتجر هل سيصل إلى ما يريده من الربح أم لا ؟.

الفرق بين الصنعة والعمل:

يمكن تلخيص أوجه الفرق بين الاثنين فيما يأتي:

أ- العمل يُطلق على ما يصدر من الإنسان أو الحيوان، بينما لا تُطلق الصنعة إلا على ما صدر من الإنسان.

ب- العمل لا يتطلب العلم بما يعمل له، بخلاف الصنعة فإنها تتطلب العلم والمهارة، بل إن الصنعة لا تُطلق إلا على ما كان بإجادة، وفيه معنى الحرفة.

ج- الصنعة أخص والعمل أعم. وكل صنعةٍ عملٌ، وليس كل عملٍ صنعةً.

٤- الوظيفة:

الوظيفة لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق في زمن معيَّن، وتأتي أيضاً بمعنى الخدمة المعيَّنة[١].

وفي الاصطلاح المعاصر: تطلق على وحدة من وحدات العمل، تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل، ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. كالمحاسبة في شركة مثلاً فإنها وظيفة، تحتوي على مجموعة من الأنشطة من جمع للبيانات والفواتير، وتصنيفها وإدخالها في الحاسوب، وجمعها، وإجراء المقابلة والمقاصة بين الوارد والصادر منها ثم إخراج النتيجة النهائية لليوم، ثم للشهر، ثم للسنة، وهكذا... وقد يكون للشركة محاسب واحد أو مجموعة من المحاسبين.

خصائص المهنة:

للمهنة جملة من الخصائص أهمها:

١-تقديم خدمات أساسية ومفيدة للمجتمع.

٢-حاجتها إلى الإعداد العلمي من خلال برامج ذات أهداف محددة وواضحة، ومن جهات علمية معترف بها.

٣-لكل مهنة معارف ومهارات خاصة بها.

---

(١) المعجم الوسيط: باب وظف.

٤-لكل مهنة قوانين وآداب تنظمها، وتحكم العمل بها.

٥-غالباً ما يوجد في وقتنا الحالي تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها كالنقابات والجمعيات.

٦-لكل مهنة معالمها الواضحة التي تميزها عن غيرها من المهن.

الحكم الشرعي للمهنة:

إنّ من يقرأ في كتاب الله تعالى، أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يجد أن الإسلام يحث على العمل، ويرفع من شأنه. كما أن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة، أو غيره من الأنبياء، أو يقرأ في سير الخلفاء الراشدين، أو الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، أو في سير سلف الأمة وأئمتها، يجد أنهم جميعاً قد مارسوا مختلف المهن من تجارة ورعي وزراعة وخياطة وحدادة وغيرها. من ذلك مثلاً: قول الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الأنبياء:٨٠]، واللبوس: الدروع. وقول الرسول ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»[(١)]، وقوله: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[(٢)]، ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «كان

(١) صحيح البخاري: باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: ٢٠٧٢.
(٢) صحيح البخاري: باب فضل الزرع والغرس، رقم ٢٣٢٠.

آدم عليه السلام حراثاً – فلاَّحاً–، وكان إدريس خياطاً، وكان نوح نجاراً، وكان هود تاجراً، وكان إبراهيم راعياً – وورد بزازاً أي تاجراً يبيع الملابس– وكان داود زرّاداً – أي حدّاداً– ، وكان سليمان خواصاً، وكان موسى راعياً أجيراً، وكان عيسى سيّاحاً، وعمل محمد صلى الله عليه وسلم في التجارة والرعي كما أخبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم».

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني».

وفي هذا القدر كفاية، إذ ليس الغرض الحصر والاستقصاء.

فهذه النصوص –وغيرها مما في معناها كثير– تدل على مدى حث الشريعة على العمل، وعلى مدى إعلائه من شأنه.

تعريف أخلاق المهنة:

عرّف بعض المعاصرين أخلاق المهنة بأنها: مجموعة القيم والأعراف والتقاليد التي يتفق ويتعارف عليها أفراد مهنة حول ما هو خير وعدل في نظرهم، وما يعتبرونه أساساً لتعاملهم وتنظيم أمورهم وسلوكهم في إطار المهنة[1].

(١) التربية المهنية: الهامش رقم ١، وقد نقله عن (اليونسكو ١٩٩٨م) ص ١١٩.

أو بعبارة أخرى: هي تلك التوجيهات النابعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع، والتي ينبغي للشخص أن يتحلى بها أثناء ممارسته للمهنة.

الفرق بين أخلاق المهنة وأنظمتها:

تُعَرَّف أنظمة المهنة بأنها: تلك القوانين والتشريعات التي تحدد وتنظم عمل الممارسين للمهنة. وهذا يعني:

أ- أنّ أخلاق المهنة تهتم بما ينبغي فعله، وبما يُجَمِّل صورة المرء أمام الآخرين، ويكسبه احترامهم، وأما أنظمة المهنة فتهتم بما يجب فعله.

ب- أنّ من يخالف أخلاق المهنة يستحق اللوم والعتاب، وأما من يخالف أنظمتها فإنه يستحق العقوبة الزاجرة أيضاً، ولا يكتفى معه باللوم والعتاب.

مصادر أخلاق المهنة:

نصوص الشريعة كتاباً وسنةً هي مصدر التكاليف الشرعية عامةً بما فيها الجانب الأخلاقي، وأخلاق المهنة بصفتها تمثل جانباً من جوانب السلوك الأخلاقي، فإن مصدرها أيضاً هو الشرع، وقد جاءت الشريعة لتأخذ بيد الإنسان إلى الحياة الهانئة الطيبة الآمنة السعيدة، وليعيش في ظلال الإيمان الوارفة، ومن ثمَّ كانت تحثُّ على كل فضيلة، وعلى كل ما هو من مكارم الأخلاق، وعلى إتقان العمل، وعلى بذل النصيحة

للآخرين والسعي فيما ينفعهم، وعلى مراقبة الله عز وجل في كل شؤون الحياة.

ونصوص الشرع في ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال: قول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥-١٦]، فهذه الآيات وغيرها كثير، تؤكد أنّ الحياة السعيدة الهانئة الطيبة إنما هي في اتباع شرع الله، وليس غيره، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1].

وكون الشرع مصدر أخلاق المهنة لا يعني المنع من الاستفادة مما هو متوافر لدى الآخرين من غير المسلمين من أنظمة وتشريعات وإجراءات وأساليب نافعة ومفيدة في هذا الباب، ما لم تكن مصادمةً للشرع، فالحكمة ضالة المؤمن، وحيثما وجدها أخذها، وكان أحق بها.

مدى الحاجة إلى دراسة أخلاق المهنة:

لكل مهنة أخلاق وآداب عامة تحددها القوانين واللوائح الخاصة بها، ومن خلال مراعاتها تتم المحافظة على المهنة ومكانتها، وكثيراً ما تجمع

---

(١) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

هذه الآداب والأخلاق في عصرنا هذا في وثيقة واحدة، يطلق عليها ميثاق الشرف المهني.

ومن المعلوم أن مجموع المهن في المجتمع (كالتدريس والقضاء والطب والهندسة والمحاسبة وغيرها) هي الأداة المنفذة لأهداف وتطلعات أبناء المجتمع، فإذا فقد العاملون فيها آداب وأخلاق مهنتهم، كان ذلك نذير شؤم عليهم، وعلى مجتمعهم، وكان دليلاً على قرب نهايتهم، فكما يقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ونظراً لاتساع سلطان العلم في عصرنا هذا وما رافقه من تقنيات مذهلة في معظم مجالات الحياة، ولأن مجالات العمل قد تضاعفت أضعافاً كثيرة عن العصور السابقة، فقد أصبحت الحاجة إلى أخلاق المهنة أكثر إلحاحاً، وأشد ضرورةً تلافياً لما يمكن أن يوجه إليه المهنة من الاستغلال السيئ من قبل بعض المنحرفين، ومرضى النفوس، فتصبح وسيلة للإفساد والتدمير والعبث بمصير البشرية، ولا أدلّ على ذلك مما نجده في أيامنا هذه من العبث بالجينات الوراثية للمواد الغذائية (كالحبوب المعدلة وراثياً) وإدخال كثير من المواد الكيميائية في تركيبة الأغذية على الرغم من التحذيرات الطبية العالمية من كونها مواد مسرطنة أو ضارة بالإنسان أو بالبيئة، ومثل ذلك الاستنساخ والعبث بخِلْقة بعض الحيوانات وجعلها قطع غيار، والسعي بعد ذلك للعبث بخِلْقة الإنسان، وكذلك التنافس المحموم بين كثير من دول العالم في تصنيع

القنابل النووية، إلى الصواريخ العابرة للقارات، إلى غزو الفضاء من خلال أقمار التجسس ... وهكذا.

وهذه الأمور التي هي على درجة كبيرة من الخطورة ليس على البشرية فحسب، بل على الكون برمته بكائناته الحية وجماداته، دفعت كثيراً من رجال العلم والفكر في العالم للدعوة إلى وضع مواثيق شرف أخلاقي تخص كل مهنة من المهن، ويكون من شأن هذا الميثاق حماية سمعة المهنة، والمحافظة عليها من الانحراف والاستغلال.

وقد تمت الاستجابة لهذه الدعوات ووُضِعتْ كثيرٌ من المواثيق في البلدان المختلفة، انطلاقاً من قيم البلد ومبادئه، ومن هنا كانت الحاجة إلى دراستها والوقوف عليها، وإن كان ذلك من خلال الخطوط العريضة لها[1].

صفات الميثاق الأخلاقي:

لكي يحقق الميثاق الأخلاقي أهدافه يجب أن يتصف بما يلي:

١-أن تكون مواده منسجمة مع قيم المجتمع ومبادئه.

٢-أن تكون مختصرة.

٣-أن تكون سهلة وواضحة.

---

(١) انظر أيضاً: المهنة وأخلاقها، سعد الدين مسعد هلالي: ٢٤١.

٤-أن تكون معقولة ومقبولة من الناحية العملية.

٥-أن تكون شاملة.

٦-أن تكون إيجابية.

وسيكون لنا في المحاضرة الأخيرة بمشيئة الله وقفة مع أنموذج من هذه المواثيق.

الوحدة التاسعة

(الأخلاق الجامعة للمهنة[١])

تمهيد:

للمهنة عناصر أربعة هي: العامل، ورب العمل، والمستفيد، والمجتمع.

ويُقصد بأخلاق المهنة هنا تلك الصفات التي تنشد الكمال في هذه العناصر الأربعة.

ولما كانت ممارسة المهنة تتم في إطار التزام قانوني أو تعاقدي، فإنه غالباً ما يشتمل هذا القانون أو العقد على بعض الخصال الأخلاقية باعتبارها التزاماً واجباً.

ونحن في دراستنا هذه سنستبعد تلك الخصال الواجبة عن محل البحث.

كما سنستبعد الخصال الأخلاقية العامة المطلوبة دائماً وفي كل مجالات الحياة كبر الوالدين والإحسان للجار وبذل النصيحة للآخرين عن محل البحث.

---

(١) هذه الأخلاق الجامعة للمهنة في عمومها مستفادة من كتاب المهنة وأخلاقها للدكتور سعد الدين مسعد هلالي: صفحة ٢٤٣ وما بعد.

وسنقتصر على ما له صلة بكمال المهنة مما لم يشتمل عليه قانون المهنة أو التعاقد.

وسنجمع هذه الأخلاق (أخلاق المهنة) في خمس مجموعات هي:

الطهارة المهنية، الاستقامة المهنية، التعاون المهني، الأمانة المهنية، المحبة المهنية.

خلق الطهارة المهنية:

الطهارة لغة: مصدرٌ من طَهُرَ يَطْهُرُ، وتعني النظافة والنقاء والتنزه عن الأقذار، حسية كانت تلك الأقذار أو معنوية، والطاهر هو: البرئ من العيوب، وهو النزيه، والشرِيف[١].

وفي الشرع: تُطلق على غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة -أي رفع الحدث الأصغر أو الأكبر- أو إزالة نجاسةٍ[٢].

أقسام الطهارة: الطهارة على ضربين: حسية، ومعنوية.

الطهارة الحسية: وتتحقق برفع الحدث، أو إزالة النجس، أو ما في معناهما وعلى صورتهما.

والطهارة المعنوية: وتتحقق بترك الذّنب وتنقية النّفس من العيوب.

---

(١) المعجم الوسيط: مادة طهر، باب طهر.

(٢) التعريفات للجرجاني؛ التوقيف على مهمات التعريف للمناوي: مادة (طهر) باب الطاء فصل الهاء.

تحقق الطهارة المهنية:

تدخل الطهارة المهنية تحت القسم الثاني، أي الطهارة المعنوية، وتعني تطهير المهنة وتنزيهها عن النقائص والعيوب، ويتحقق ذلك من خلال المحافظة على أمرين:

١ - السمعة الطيبة ممن يقدم المهنة: وذلك بأن يترفع عن النقائص والعيوب ويتصف بسمعة طيبة.

٢ - جودة الأداء: وذلك من خلال تنزيه المهنة نفسها عن العيوب والنقائص.

شروط الطهارة المهنية:

يشترط في المهنة لتتصف بالطهارة أن تتوافر فيها ما يأتي:

١- أن يمتلك كلٌ من العاملِ ورب العمل صفحة بيضاء في سجل المهنة، ويتمتع بسيرة طيبة (أي: شهادة حسن سلوك) وأن يحرص على استمرارها كذلك، فلو عُرف عن قاض أو موظف قبوله للهدية تلوثت صفحته المهنية، ولم تعد بيضاء، ولو عرف عن طبيب تتبعه لعورات النساء تلوثت صفحته، ولو عرف عن تاجر غشه تلوثت صفحته، وهكذا.

٢- أن يلتزم كلٌ من طرفي المهنة (العاملُ وربُ العمل) بالقواعد المنظمة لممارستها.

فربُّ العمل يجب أن يحصل على ترخيص مزاولة المهنة قبل ممارستها، وأن لا يتعاقد مع من لم يستوف شروط التعيين (كالسن القانونية، والمؤهل الدراسي وغيرها)، وإلا تلوثت صفحته المهنية، كما يجب أن يكون العامل مستوفياً شروط التعيين (كأن يكون حاصلاً على المؤهل الدراسي في المهن التي تشترطه كالطب والصيدلة والهندسة، وأن يكون ضمن حدود السن القانونية المحدد).

٣- أن يمتلك العامل الخبرة المطلوبة في الأعمال التي يستلزم ممارستها خبرة.

كممارسة مهنة المحاماة فلا يمارسها إلا من أمضى فترة محددة بعد تخرجه لدى محامٍ آخر متمرس، وكالعمليات الجراحية، فلا يقوم بها إلا من مارسها فترة محددة بعد تخرجه تحت إشراف طبيب آخر جراح متمرس، وكالمناقصات أو المزايدات الكبيرة فلا يقوم بها عامل مبتدئ، وكإنتاج المصنوعات التي تحتاج إلى تقنية عالية فلا يشرف عليها إلا خبير.

٤- أن يكون صاحب المهنة (سواء أكان عاملاً أم رب عمل) متقناً لمهنته، متمكناً منها، وأن يتصف المنتج بالجودة، وإلا كان غاشاً في عمله.

فإذا افتقد أي شرط من هذه الشروط كان ذلك مَسَّاً بخلق الطهارة المهنية، ومخالفاً لما يتطلبه.

التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية:

لا تقوم مهنة معتبرة بغير طهارة، ومن ثَمَّ كان الحد الأدنى من هذه الطهارة ضرورة لازمة، ومطلباً لا غنى عنه.

وهذه الضرورة استلزمت مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال صدور قوانين تنظم وضع كل مهنة، كما أن هذه الضرورة دفعت الجهات المختلفة إلى وضع صيغ للعقود تتضمن الشروط والضوابط التي يجب على المتعاقدين الالتزام بها إما بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشرة كالإحالة إلى عرف أو جهة ونحوها. وبذلك تحولت تلك الصفات الأخلاقية من كونها أخلاقًا كريمة مرغوب فيها إلى التزام واجب، يترتب على مخالفتها المساءلة القضائية.

إلا أن الإحاطة بخصال الطهارة المهنية من خلال تلك القوانين والعقود غير ممكن لكثرة وتشعب تلك الخصال، ولاتساع ميدانها، الذي هو ميدان الفضيلة والسمو، ومن ثمَّ كان الزائد عن حد الضرورة أو الواجب مما لم ينص عليه العقد أو القانون هو المراد بخصال الطهارة المهنية، وهو الذي يدخل في أخلاق وآداب المهنة، ويترتب على الإخلال بها المساءلة الأخلاقية دون القضائية.

وهنا يجب علينا أن ننبه لأمرين :

أولهما: لكل مهنة ما يناسبها من أخلاق الطهارة المهنية، فما هو مطلوب لمهنة القضاء قد يختلف عن ما هو مطلوب لمهنة الطب أو

الصيدلة أو التجارة وهكذا، وما يلزم القاضي للحفاظ على سمعته الطيبة، يختلف عن الذي يلزم الطبيب، أو التاجر، ويقال الشيء نفسه عن آداب ممارسة المهنة.

ثانيهما: المقصود هنا ما يؤثر على سمعة المهنة وطهارتها على وجه الخصوص، وليس الأوجه الأخرى للطهارة الخُلقية التي لا شأن لها بالمهنة كسمعته بين أهله أو لدى جيرانه مثلاً.

أدلة الطهارة المهنية:

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها:

١- قول الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] والإتقان والجودة معنى من معاني الطهارة المهنية.

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]، فالكف عن الفساد والإفساد والترفع عنهما من خلق الطهارة المهنية؛ لأنها من باب التنزه عن النقائص والعيوب.

٣- ومنها: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فالتواضع، ولين الجانب،

والإعراض عن السفيه، كل ذلك من خلق الطهارة المهنية، وتحقق لصاحبها السمعة الطيبة.

٤- قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[١]، وفيه دلالة على طلب الإتقان في العمل، وجودة الأداء، وهو من خلق الطهارة المهنية.

٥- وقوله عليه الصلاة والسلام: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»[٢]، وفيه دلالة على أهمية السمعة الطيبة والسلوك القويم من خلال الحرص على مجالسة الصالحين، إذ المرء على دين خليله، وهو من معاني الطهارة المهنية.

٦- وقوله عليه الصلاة والسلام: «من غش فليس منا»[٣]، فالترفع عن الغش من خلق الطهارة المهنية، ويحقق لصاحبه السمعة الطيبة.

مظاهر الطهارة المهنية عند الفقهاء:

تكلم فقهاؤنا عن الطهارة المهنية التي تعني السمعة الطيبة، والسيرة الحميدة، وجودة الأداء والإتقان، وإن لم يسموها بهذا الاسم. وسنعرض فيما يأتي أمثلة من باب القضاء على سبيل التمثيل والبيان وليس الحصر:

- بطلان تولية الفاسق القضاء:

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني: رقم ١٨٨٠، وقال حديث حسن.
(٢) سبق تخريجه، وهو صحيح.
(٣) سبق تخريجه، وهو صحيح

قال فقهاؤنا: لا يجوز تولية الفاسق القضاء مع وجود القاضي العدل، وإن تمَّ ذلك فهو باطل، وذلك حفاظاً على سمعة القضاء وسمعة القاضي من جهة، ولتحقيق جودة الأداء في الحكم، وإقامة العدل بين الناس من جهة أخرى، ولا يخفى أنهما من خصال الطهارة المهنية.

- تحريم تولية الجاهل القضاء:

قال فقهاؤنا: يحرم تولية الجاهل القضاء مع وجود العالم؛ للحفاظ على جودة الأداء، وتحقيق العدالة، وهي من خصال الطهارة المهنية.

- كراهة تولية المفضول القضاء:

قال فقهاؤنا: يكره تولية المفضول القضاء مع وجود الفاضل (أو الأفضل)؛ للحفاظ على جودة الأداء أيضاً، وتحقيق الطهارة المهنية.

ومثل هذه المسائل نجدها أيضاً في باب الإمامة في الصلاة، وفي الولاية في النكاح، وفي الولاية على المال للقُصَّر (كالمجنون والسفيه واليتيم)، وفي ناظر الوقف، وفي ولاية الحسبة وغيرها كثير.

ومن هذا الباب ما تطلبه جهات العمل أو التعاقد من المدرس أو الموظف أو الطبيب شهادةً بحسن سلوكهم.

ومنه ما نجده في بعض المواثيق من النص على أنه يفصل من العمل من يرتكب ما يخل بالآداب العامة في مكان الوظيفة، كالسرقة مثلاً، أو جريمةً تمس الشرف أو الأخلاق أو الأمانة وهكذا.

الوحدة العاشرة

الاستقامة المهنية

معنى الاستقامة :

الاستقامة لغة: مشتقة من القيام، وتعني الثبات والدوام والملازمة والاستمرار على الشيء، كما أنها تفيد معنى الاعتدال والاستواء[١].

فمن الأول قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧]، أي: فما استمر وثبت أولئك المشركون معكم على العهد، فاستمروا أنتم معهم واثبتوا.

ومن الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم للمأمومين خلفه في صلاة الجماعة: «أقيموا صفوفكم»[٢]، أي اعتدلوا واستووا ولا تختلفوا.

والاستقامة المهنية في الاصطلاح : لا تخرج عن معناها اللغوي، أي أنها تفيد الاعتدال في أداء المهنة من جهة، وملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق من جهة أخرى.

---

(١) المعجم الوسيط: مادة (قام).

(٢) صحيح البخاري: باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف، رقم: ٧١٩.

شروط الاستقامة المهنية:

لكي تتحقق الاستقامة المهنية (أي الاعتدال والاستقرار والوفاء بمصالحها) لابد من توافر الشروط التالية:

١- حرص كل واحد من الطرفين على الآخر:

أي أن كل واحد من طرفي العقد (العامل ورب العمل) مطالبٌ بالتحلي بالصفات الأخلاقية الحميدة التي من شأنها أن تغرس في نفس صاحبه الثقة والطمأنينة، وتشعره بحرصه على الاستمرار في التعاقد معه. وقد حث الشرع على هذا، ففي الحديث القدسي يروي النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما»[1].

٢- مطاوعة الزملاء:

فالثبات والاستقرار والاستمرار في المهنة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان كل واحد يراعي مشاعر صاحبه، ويحترم رأيه، ويتنازل له عن بعض ما يراه، وفي بيان أهمية ذلك نجد النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، يوصي به أَبَا مُوسى الأشعري وَمُعَاذ بن جبل حين أرسلهما إِلَى الْيَمَنِ، فيقول لهما:

---

(١) سنن أبي داود: باب في الشركة، رقم ٣٣٨٣. قال ابن حجر في الدراية (٢/ ١٤٤) : رواه أبو داود، وصححه الحاكم، ومنهم من أعله بالإرسال. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ٧٢١): جيد الإسناد.

«يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا»[١].

٣- طاعة الرؤساء:

إن طاعة الرؤساء في المهنة ضرورة لا بد منها، وإلا كانت الفوضى، وكان الاضطراب، وكان الإضرار بالمهنة واستقرارها ومصالحها، ومن ثمَّ نجد أن القرآن الكريم يأمر بإطاعة ولاة الأمر فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (النساء:٥٩).

٤- عدم التغيب عن العمل إلا في حالات الضرورة:

إذ التغيب عن العمل يضر به، ويتنافى مع مصالحه بلا شك، والعقود أو الأنظمة والقوانين تعاقب على ذلك، غير أن الفرد قد يتغيب لظروف خاصة تواجهه، ويكون معذوراً بها، والمطلوب منه هنا أن لا يتوسع في ذلك، ويجعل مصلحة العمل نصب عينيه، لأنه من مقتضى الوفاء بالعقود، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة:١].

٥- الالتزام بمنهج الشورى:

الالتزام بمنهج الشورى وخصوصاً في الوظائف التي تصنع السياسات المهنية، وتضع الخطط، مطلب ضروري للاستقامة المهنية،

---

(١) صحيح البخاري: باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، رقم: ٣٠٣٨.

وإلا كان الوقوع في شَرَك الاستبداد بالرأي، وتحكيم العقل الواحد، والرؤية الواحدة، وهو ما ينعكس سلباً على مصلحة العمل واستقراره، ومن هنا فقد أخبرنا الله أن الشورى من صفات المجتمع المسلم، تنبيهاً إلى أهمية الالتزام بها، فقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾[الشورى: ٣٨].

بل إن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بالشورى، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فإذا كان النبي وهو المعصوم والمسدد بالوحي مطالباً بالشورى، فكيف بغيره؟!. لا شك أنه مطالبٌ به من باب أولى.

٦- الالتزام بالصدق:

الالتزام بالصدق ضرورة لابد منها لتحقيق الاستقامة المهنية، إذ لا يمكن للمهنة أن تستقر وتستمر وتتحقق مصالحها من غير الاتصاف بالصدق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

التوجيه الفقهي لخلق الاستقامة المهنية:

ما أسلفناه في حديثنا عن الطهارة المهنية من ضرورة توافر الحد الأدنى منها يقال هنا أيضاً وفي كل خصال أخلاق المهنة، فالحد الأدنى منها لا بد منه، وقد نصت عليه القوانين والعقود، فخرجت من مجرد خصال أخلاقية إلى واجبات ملزمة، يترتب على الإخلال بها مسؤولية قضائية، غير أن القوانين والعقود لن تحيط بكل خصال الاستقامة

المهنية، لأن العقود تستحدث باستمرار والوقائع تتجدد دائماً، ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى المزيد من هذا الخلق، بحيث يتحقق الغرض منه.

وننبه هنا أيضاً إلى ما أسلفناه في خلق الطهارة المهنية من أن:

١- الاستقامة المهنية تختلف في بعض جوانبها من مهنة إلى أخرى، أي أن الاستقامة المهنية المطلوبة من القاضي تختلف في بعض جوانبها عن المطلوبة من الطبيب أو التاجر أو المدرس.

٢- كما أننا لا نبحث هنا إلا في الاستقامة ذات العلاقة بالمهنة وما يؤثر فيها، ولا شأن لنا بعلاقاته الأسرية أو الاجتماعية.

أدلة الاستقامة المهنية:

دلت آيات وأحاديث كثيرة على طلب هذا الخلق من المسلم من ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢]، وجه الدلالة في الآية؛ أنها تطالب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بالاتصاف بخلق الاستقامة صراحة، وهي عامة، فيدخل فيها الاستقامة المهنية أيضاً؛ لأنها فرع عنها.

٢- قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان: ٦٧] أي أن هؤلاء العباد المؤمنين الصالحين الواقفين عند حدود الشرع يتصفون بالاعتدال حتى في حالة الإنفاق في أوجه البر والخير، ويتجنبون الإفراط والتفريط

لمنافاتها لخلق الاستقامة، وإذا كان هذا الاعتدال مطلوباً في الإنفاق في سبل الخير -مع حث الشرع عليه- فلأن يكون مطلوباً في غيره من الأمور المباحة من باب أولى.

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩]، وقد سبق ذكره في الشروط، وكذا ما ورد في طاعة ولاة الأمر، والتزام منهج الشورى، وغيرها من الآيات التي تحث على هذه القيم الأخلاقية كثير.

يضاف إليها أنها جميعاً قد تأكدت بأحاديث شريفة واردة في معناها تدل على طلب تلك الخصال الخلقية من ذلك:

١- قول الرسول ﷺ لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين جاء إليه يقول: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ. قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[(١)]، فقد أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستقامة من غير تخصيص بجانب معين من جوانب الحياة، فيكون شاملاً ومستغرقاً لجميعها.

---

(١) المسند: رقم ١٥٤١٦ و١٥٤١٧، ١٥٤١٨، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي. قال المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

٢- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله»[(١)]، وهو يدل على وجوب طاعة الرئيس، وإن لم يكن يراه أهلاً لذاك المنصب.

مظاهر الاستقامة المهنية عند الفقهاء:

تكلم الفقهاء عن مظاهر الاستقامة في بعض المهن كالحُكْم والقضاء والمعاملات، وحذروا من الخصال التي تتنافى مع خلق الاستقامة المهنية، وفيما يلي ذكر لبعض هذه المظاهر:

١- العدل في المعاوضات المالية:

الأصل في المعاوضات المالية أنها تقوم على التراضي بين طرفي العقد، والأصل في الطرفين أنهما عاقلان بالغان راشدان يدركان مصلحتهما، ومن ثمَّ فإن الشرع يتركهما لإرادتهما واتفاقهما، ولا يتدخل بينهما، إذ ليست مصلحة أحد الطرفين بأولى من الآخر، إلا أن بعض الأشخاص قد يتعرض للخديعة أو الاستغلال من الطرف الآخر لظروف خاصة، فعندها يتدخل الشرع ليحمي الطرف الضعيف، ومن هذا الباب ما يحصل للمسترسل.

والمسترسل هو: الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة، ويجهل قيمة السلعة، ولا يحسن المساومة، فيطمئن إلى صدق البائع، ويستسلم له،

---

(١) المسند: رقم: ٢٧٢٦٠ و ٢٧٢٦٦ من حديث أم الحصين الأحمسية، وهو صحيح كما قال المحقق.

فيستغل البائع ذلك فيه، فيبيعه بغبن فاحش -أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين، وإنما تحصل هنا استغلالاً لحالة المشتري واسترساله- فقد قال الرسول ﷺ في النهي عن ذلك: «غبن المسترسل حرام» وفي رواية: «ربا»[١]، أي: أنّ خداعه واستغلاله حرام شرعاً، وأن تلك الزيادة ربا، ولا تحل له.

وقد ورد أنّ أناساً أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل يُستغل ويُغْبَنُ -أي يُخدع- في بيعه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ»[٢]، والخلابة هي الخديعة.

أي أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني، فإذا تبين أنك قد خدعتني، فلي الخيار في إبطاله، ولا شك أنّ هذا الخداع وهذا الاستغلال منافٍ للأخوة الإيمانية، وخارج عن العدل الذي جاء به الشرع، ومصادم لخُلق الاستقامة المهنية.

٢- العدل في المكيال والميزان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[النحل: ٩٠]، فالمطلوب هو العدل بإطلاق، في جميع مجالات الحياة، ومع جميع الناس، مهما اختلف الزمان

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: رقم ٧٥٧٦؛ السنن الكبرى للبيهقي: باب ما ورد في غبن المسترسل، رقم: ١٠٩٢٤- ١٠٩٢٥. وسنده عند البيهقي جيد، انظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي: ١/ ٥٢٤.

(٢) صحيح البخاري: باب ما يكره من الخداع في البيع، رقم ٢١١٧.

أو المكان أو الجنس أو الدين، ومن ذلك العدل في المكيال والميزان، فقد ورد التأكيد عليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، لأهمية المال وخطورته، وتطلع النفوس إلى المزيد منه، بل إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم المطففين، أي المتلاعبين بالمكاييل والموازين، فحذرت من هذا الفعل أشد التحذير، وخوفتهم من المصير الأليم الذي ينتظرهم في القيامة. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ١- ٤] فالعدل من خلق الاستقامة المهنية، والتطفيف في المكاييل والموازين ينافيه، ويجب الابتعاد عنه.

٣- الالتزام بمتطلبات المهنة وبأدائها على وجهها المطلوب:

أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأداء المهنة على وجهها المعروف في صور المعاوضات المالية، وعدم الإخلال بمتطلباتها اللازمة؛ لقولة تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة: ١]، ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب وإيجابي على تحقيق الثبات والدوام والاستقرار للمعاملات، وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية.

٤- الشورى:

ويمكن تعريف الشورى بأنها مراجعة الآخرين من أهل الاختصاص والخبرة؛ لأخذ رأيهم في الموضوع الذي ينظر فيه، ثم العمل بموجبه.

وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية، ومطلوبة بصورة أكيدة كما أسلفنا في الشروط. قال تعالى مخاطباً نبيه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى: ٣٨]، ومن يقرأ في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو سِيَرِ خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم يقف على صور كثيرة منها، ومن وقائع متنوعة في السلم والحرب، في القضاء والإدارة والتشريع، وكلها تجسد مبدأ الشورى الذي كان يلتزم به الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم في حياتهم.

وفي هذا القدر من الأمثلة كفاية للتدليل على أهمية هذا الخلق في الدين والدنيا.

الوحدة الحادية عشرة

(خُلق التعاون المهني)

تعريف التعاون المهني:

التعاون لغة: المساعدة، مِنْ عاونه وأعانه إذا ساعده، والمعاون: المساعد[١].

والتعاون المهني في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، وهو: المساعدة على أداء المهنة.

أي المساعدة في إيجاد المهنة، وأداء مهامها بروح الفريق الواحد، وإنما يتحقق ذلك بأكمل صوره بالتزام جميع الأطراف بتسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس الشريف.

إذاً فتحقيق التعاون المهني على أكمل وجه يوجب على أطراف المهنة أن يسعوا في واقع مهنتهم إلى تحقيق أمرين اثنين هما:

١- تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.

---

(١) المعجم الوسيط: باب العين.

٢- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر.

شروط التعاون المهني:

لابد لتحقيق معاني الأخوة والاحترام والصبر والتناصح والتنافس الشريف من توافر الشروط التالية:

١- استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠]، وهذا أول وأهم الشروط لتحقق التعاون المهني، إذ تكاد الشروط الأخرى تكون نابعة، ومتفرعة عن هذا المعنى، فالأخوة تستلزم المحبة والسماحة والنصح وغيرها، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المعاني في قوله: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[(١)].

٢- إنكار الذات:

إنكار الذات والترفع عن الأنا من ضرورات التعاون المهني، وبقدر ما يستطيع المرء التخلص منها، يكون استعداده للتعاون أكبر، ويكون محبته للخير للآخرين أعظم، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث صحيح، وقد مر.

ذلك دليلاً على استكمال الإيمان فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»[١].

٣- السماحة في المنهج:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[٢].

فالسماحة وكرم النفس من ضرورات التعاون المهني، ومن دونها يكون التشاحح، والتباغض، والتدابر.

٤- الصبر على المكاره:

فمن غير الصبر لا يمكن أن يتحقق التعاون المهني، إذ لا بد أن يجد كل واحد من زميله أموراً لا تعجبه، فإن لم يوطن نفسه على الصبر، كان الصِدام. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠].

٥- بذل النصيحة:

عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٣]، فالتعاون يستدعي بذل النصيحة ضرورة.

---

(١) حديث صحيح، وقد مر.
(٢) صحيح البخاري: باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم ٢٠٧٦.
(٣) صحيح مسلم: باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: ٥٥.

٦- المنافسة الشريفة:

التنافس الشريف فيما هو لصالح المهنة ولما فيه خيرها أمرٌ مفيدٌ ومطلوب، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ»[1]، وما ذلك إلا للتشجيع والمنافسة والحث على المزيد من البلاء في المعركة.

التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني:

كما أسلفنا في الخصال السابقة (الطهارة المهنية والاستقامة) فإن الحد الأدنى من هذا التعاون أيضاً ضروري وإلزامي بنص القانون أو العقد، والإخلال به يستوجب مسؤولية قضائية، ويبقى ما فوقه مطلوباً من جهة الأخلاق، ويستوجب مسؤولية أخلاقية.

وأيضاً ننبه هنا إلى ما أسلفناه من قبل من أن التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها:

١- فالتعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن التعاون المطلوب بين الطبيب والمريض، أو طاقم الطائرة... وهكذا.

٢- كما أننا لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران ... ونحو ذلك.

---

(١) صحيح البخاري: باب من لم يخمس الأسلاب، رقم: ٣١٤٢.

أدلة التعاون المهني:

يدل لخلق التعاون المهني أدلة كثير من القرآن والسنة، وفيما يلي نذكر بعضاً منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[المائدة:٢]، فالتعاون على كل ما هو من البر والخير مطلوب، والتعاون على كل ما فيه نفع العباد مطلوب، ولا شك أن التعاون في أداء مهام المهنة أحد صورها.

٢- وقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[الكهف:٩٥]، فهذا ذو القرنين وهو مَنْ هو في قوته ودهائه يطلب الإعانة لإنجاز ما هو مطلوبٌ منه، فالفرد قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:١٠]، وقد سبق أن بينا في الشروط معاني هذه الأخوة وضرورتها للتعاون المهني.

٤- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران :٢٠٠] فالآية لا تأمر بالصبر فحسب، بل بالمصابرة أيضاً، وهي أشد وأبلغ من الصبر، حيث فيها حمل النفس على المزيد من التحمل والثبات.

وبالجملة فهذه الآيات واضحة الدلالة في الحث على التعاون والأخوة والصبر التي هي من جملة خصال خلق التعاون المهني، والآيات في معناها كثير.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في الموضوع:

١- قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[(١)]، ومعلومٌ أن ممارسة المهنة تستلزم المخالطة، إذ لا يتصور ممارستها بمعزل عن الناس، وإذا تمت المخالطة فلا بد أن ينتج عنها الأذى بقصد أو بغير قصد، ومن ثم كان الصبر مطلوباً كما حث عليه الحديث الشريف.

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(٢)]، وبذل النصح وجه من وجوه التعاون على الخير، وعلى ما فيه النفع والفائدة.

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[(٣)]، فالحديث يبين الواجب الأخلاقي على كل مسلم تجاه

---

(١) المسند: من حديث عبد الله بن عمر، رقم ٥٠٢٢. قال المحقق الأرناؤوط: وإسناده صحيح.
(٢) صحيح مسلم: باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: ٥٥.
(٣) سبق تخريجه، وهو حديث صحيح.

إخوانه من المسلمين، فلا يظلمه، ولا يتخلى عنه، بل يسعى في قضاء حوائجه، وتفريج كربه، وتحقيق الستر له.

مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء:

هناك عقود ومهن كثيرة يتجلى فيها مظاهر التعاون المهني، ذكرها الفقهاء في مصنفاتهم، وسنشير إلى بعض منها فيما يأتي:

١ - الإقالة في العقود:

والإقالة تعني فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين؛ بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره؛ أي أن أحد الطرفين يندم ويريد إبطال البيع أو الإجارة أو نحوهما من بعد إبرام العقد ولزوم آثاره، فيستجيب له الآخر؛ تقديراً لظروفه، ومراعاة لحق الأخوة التي قررها الشرع. وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة؛ لأنها من باب التعاون على البر، ويقول فيها صلى الله عليه وسلم: «من أقال مسلماً عثرته، أقال الله عثرته يوم القيامة»[1]، والإقالة قد تكون بين متعاقدين في عقد بيع أو إجارة، أو مريض مع طبيب، أو مهندس أو شركة للمقاولات مع من يريد إنشاء مبانٍ أو محلات تجارية.

ولا شك أن ذلك من باب التعاون على البر، والاستجابة لدواعي الأخوة، وهما من خصال التعاون المهني.

---

(١) المسند من حديث أبي هريرة: رقم: ٧٤٣١. وقال المحقق: إسناده صحيح.

٢- عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه:

قال صلى الله عليه سلم: «لا يخطب أحدكم على خِطبة أخيه، ولا يبع على بيع أخيه، إلا بإذنه»[١]، أي أن الشرع ينهى عن المزاحمة والمنافسة غير الشريفة، والتي من شأنها أن توغر الصدور، وتجلب الكراهية والحقد، لما في ذلك من المنافاة لحقوق الأخوة والتعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس، فالرجل الذي يقدم على خِطبة امرأة، من بعد أن تمت خِطبتها من قِبل آخر، وتم الاتفاق بينهما، يَقْدِمُ على عملٍ مشين، وكذا من يأتي ويسعى لنقض عقد بيعٍ قد تمَّ وأبرم، فيقول للمشتري: ردَّ عليه سلعته وأبيعك مثلها بسعر أرخص، أو أبيعك أحسن منها بنفس السعر! مثل هذا العمل ينافي خلق الأخوة والتعاون، وعلى العكس من ذلك يؤدي إلى التدابر والتنافر، والتنافس غير الشريف، ولا شك أن الشرع لا يرضى لأتباعه مثل هذه الأخلاق المشينة والمذمومة، فالله عز وجل يحب معالي الأمور، ويكره سِفسافها.

٣- التصريح بما في السلعة من العيوب :

لا خلاف في أن بذل النصح واجب للمسلم على أخيه المسلم، فقد كان رسول الله يأخذ على الناس فى البيعة بذل النصيحة كما يأخذ عليهم الفرائض، يقول جرير: «بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليَّ: والنصح لكل مسلم»[٢]، وهذا الخُلق يتطلب من البائع أن يذكر

---

(١) المسند: من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم: ٦٢٧٦. قال المحقق: صحيح.
(٢) صحيح البخاري: باب قول الرسول ﷺ: (الدين النصيحة...) رقم ٥٧.

كل عيب يعلمه في سلعته، أو يخبر المشتري بأنها مغشوشة مثلاً، فيبذل له النصيحة، وإلا كان كاتماً للعيب، غاشاً له، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[1]، فكتمان العيب محرم، ويمحق بركة البيع في الدنيا، ويُعَرِض فاعله للعذاب في الآخرة.

قال بعض السلف: لا يحل لامرئٍ بيعُ سلعةٍ يعلمُ بها داءً إلا أخبره.

ويقال مثل ذلك في المشتري، إن وجد أن السلعة تستحق أكثر مما يطلبه البائع، وأن صاحبها يجهل قيمتها، فالذي يتطلبه الخلق القويم أن يخبره بذلك، وقد ورد أن جرير بن عبدالله -راوي الحديث- اشترى فرساً فطلب صاحبها منه مائتي درهم، فوجد جرير أن الفرس تستحق أكثر، وأنه يجهل قيمتها، فزاده في سعرها حتى أوصلها إلى ثمان مائة درهم، ثم ذكر الحديث السابق (والنصح لكل مسلم).

(١) صحيح البخاري: باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، رقم: ٢٠٧٩.

الوحدة الثانية عشرة

(خُلق الأمانة المهنية)

تعريف الأمانة المهنية:

الأمانة لغة: عكس الخيانة، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف[١].

وتطلق أيضاً على كل ما عُهِد به إلى الإنسان من حقوق أو واجبات أو حاجات للآخرين؛ فيُطالب بالحفاظ عليها وإيصالها إلى ذويها سالمة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء ٥٨].

وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال ٢٨].

والأمانة المهنية في الاصطلاح لا تخرج عن معناها اللغوي، وهي تعني الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها، وعدم الخيانة فيها، وتتمثل في أصول ثلاثة هي:

١ - ما يخص حقيقة المهنة:

وذلك بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة، والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءه نقض للعهد، وخيانة لأسرار المهنة.

---

(١) المعجم الوسيط: باب الهمزة، مادة (أمن).

٢- ما يخص التصرف في المهنة:

وذلك بالحفاظ على مصالح المهنة الحقيقية، وعدم تقديم مصالحه الشخصية على مصالح المهنة؛ فلا يسرف في الإنفاق فيما يستلزم الإنفاق، ولا يستغل مهنته أو منصبه من أجل مصالحه الشخصية.

٣- ما يخص وسيلة المهنة:

سواءٌ في الوصول إليها أو في أدائها؛ فيجب أن تكون مشروعة لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، وللوسائل حكم المقاصد؛ فلا كذب ولا غش ولا نفاق ولا غيبة ولا نميمة.

شروط الأمانة المهنية:

يمكن إجمال أهم الشروط التي يجب توافرها لتحقيق الأمانة المهنية، في الآتي:

الشرط الأول:

أنْ يحافظ جميع الأطراف على أسرار المهنة؛ مما يعد إفشاؤه نقضاً للعهد.

فمثلاً الطبيب يطالب بالحفاظ على نوعين من الأسرار:

أ-ما يتعلق بجهة عمله كالمستشفى فلا يفشي أسراره.

ب-ما يتعلق بالمريض ووضعه الصحي مما يعد سراً فلا يفشيه.

وعليه فلا يدخل في أسرار المهنة:

١- ما لا علاقة له بالمهنة؛ كأن يعترف المريض أمام الطبيب بأنه قد ارتكب جريمة أو جناية في حق آخرين، أو أنه اعتدى عليهم، فهذه لا علاقة لها بالأسرار الطبية ويجب الكشف عنها إذا تعلقت بها حقوق للآخرين.

٢- ما لا يعد سراً بين الناس، ولا يعد الكشف عنه نقضاً للعهد؛ كأن يذكر اسم المريض أو مهنته أو مكان إقامته، وما أشبه ذلك.

٣- ما يعد سراً، ولكن إفشاءه في تلك الحالة مطلوب لجهات معينة؛ لتعلق مصالحهم بالكشف عنها، وذلك عند وجود نزاع حول حق يتوقف البت فيه على الكشف عن حقيقة وضع الفحوصات الطبية التي تم إجراؤها؛ ففي هذه الحالة يجب الكشف عنها للأطراف المتنازعة، وإن كانت تبقى أسراراً بالنسبة إلى غيرهم، لأن الكشف إنما هو للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، ولا ضرورة للكشف عنها أمام غيرهم.

والمستشفى تحتفظ بنوعين من الأسرار:

أ-ما يتعلق بالطبيب من حيث أجرته أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً.

ب-ما يتعلق بالمريض، مما يعد كشفه نقضاً للعهد، ومضراً به.

والمريض أيضا يحتفظ بنوعين من الأسرار:

أ-ما يتعلق بالمستشفى، كتخفيض الأجرة مثلاً، ومراعاة ظروفه الخاصة.

ب-ما يتعلق بالطبيب، كأن يكون قد عامله بصورة مخصوصة، مثل السماح له بمراجعته خارج أوقات الدوام الرسمي، أو مراجعته في بيته، أو غير ذلك؛ مما يعد الكشف عنه مزعجاً للطبيب.

الشرط الثاني:

أن يلتزم أصحاب الشأن في المهنة الرشدَ في التصرف من غير إسراف أو استغلال.

فمثلاً: الطبيب لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن صاحب العمل، كما أنه لا يسرف في استعمال الأدوات الطبية التي وضعت تحت تصرفه.

والمستشفى لا تستغل الطبيب في طلبه خارج أوقات دوامه في سبيل مصالحها، أو الكشف على مرضى غير مدرجين في قائمة عمله.

والمريض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه ... وهكذا.

الشرط الثالث:

أن يسلك أصحاب الشأن في المهنة السبل المشروعة التي تحفظ شرف الوسيلة وشرف المقصد؛ فلا مجال للكذب ولا للنفاق ولا للغش ولا

الغيبة ولا النميمة.

التوجيه الفقهي لخلق الأمانة المهنية:

ما ذكرناه سابقاً في الطهارة المهنية وما بعدها يتكرر هنا، ومن ثمَّ فلا داعي لإعادته مرة أخرى.

بمعنى أن الحد الأدنى من الأمانة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود؛ ومن ثمَّ فإننا دراستنا هنا تقتصر على ما وراء ذلك.

كما أن الأمانة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطالب به الطبيب يختلف عن المدرس والمهندس وهكذا، وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة كالبيت والشارع ونحوهما.

الأدلة في الحث على الأمانة المهنية:

يدل لخلق الأمانة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما يلي:

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال ٢٧].

فالآيتان تأمران بالحفاظ على الأمانات وأدائها على وجهها المطلوب، والأمانة المهنية جزء منها.

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم ٣].

وفي هذا ما يدل على أنه ما كان ينبغي لهن الإفضاء بالسر الذي أسره النبي صلى الله عليه وسلم لهن.

٣- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾[الحجرات ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[يوسف ١٨].

فهذه الآيات تنهى عن صفات خلقية ذميمة، مثل الكذب والغش والغيبة واللمز، وكلها تتعارض مع خلق الأمانة التي يجب التحلي بها، ومنها الأمانة المهنية.

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات المنافقين: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

(١) صحيح البخاري: باب علامة المنافق، رقم: ٣٣.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[١]، والحديثان في معنى الآيات السابقة، ويؤكدان المعنى ذاته.

٥- قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ»[٢]، أي أنه لا يجوز نقل كلام شخص وإفشاؤه، حتى وإن لم يطلب كتمانه صراحة، أو يقل: هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منه ذلك بمجرد الإشارة والإيماء؛ كالالتفاتة التي تومئ إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر عن الآخرين، ولا يريد أن يسمعه غير من يتحدث إليه.

مظاهر الأمانة المهنية:

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال الأمانة المهنية، منها:

أولاً: المنع من استغلال المهنة:

والمقصود باستغلال المهنة: هو تسخيرها لتحقيق مصالحه الشخصية، أو لما يمكن أن تحقق له ذلك. ومن صورها الفقهية قبول الهدايا، فقد حذر الشرع من استغلال المهنة فحرم الرشوة، وحرم كذلك هدايا العمال والمسؤولين التي تأخذ صورة الهدية لكنها في حقيقتها رشوة، إذ لولا ذلك لما كانت تهدى إليه، ومن هنا أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سنن الترمذي: باب ، رقم ١٢٤٦؛ سنن أبي داود: باب في الرجل يأخذ حقه، رقم ٣٥٣٤. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) المسند من حديث جابر، رقم ١٤٤٧٤. قال المحقق: حسن لغيره.

على ابن اللتبية فعله حين استعمله على الزكاة (ليجمعها) فجاء وقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ! فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ ثم حذر من عقوبة هذا الفعل يوم القيامة»[١]، وقال في حديث آخر: «هدايا العمال غلول»[٢]، وقال أيضاً: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا، فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

والغلول في الأصل: أخذ شيء من مال الغنيمة أو المال المشترك قبل القسمة، وسمي هذا غلولاً؛ لما فيه من نقض العهد، وخيانة الأمانة.

ثانياً: المنع من الغش في المهنة:

والغش في المهنة يعني التدليس والخداع في أدائها بما يوهم السلامة، أو كثرة راغبيها لإغراء الآخرين بها، أو رفع الأجر عليهم.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من التدليس والخداع في المهنة هو تحريم التصرية.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من ادعاء كثرة الطالبين للمهنة هو تحريم النجش.

---

(١) صحيح البخاري: باب من لم يقبل الهدية لعلة، رقم: ٢٥٩٧.

(٢) المسند، من حديث أبي حميد الساعدي، رقم ٢٣٦٠١. وهو حديث حسن. انظر خلاصة البدر المنير لابن الملقن: ٢/ ٤٣٠ رقم: ٢٨٦٣.

(٣) صحيح مسلم: باب ٣٠، رقم الحديث: ١٨٣٣.

أما التصرية فهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن، حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ منه في ضرع الدابة، فيتوهم الراغب في الشراء أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها.

وهذا العمل محرم بلا خلاف؛ لما فيه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة المهنية.

وقد وردت الأحاديث في النهي عن الغش بصورة عامة، وعن التصرية بشكل خاص؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تَصُروا الإبل والغنم»[(١)].

ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين بالشيء، وإغراؤهم به، مع كون الحقيقة على خلاف ذلك، كأن يستخدم أصباغاً أو ألواناً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.. وهذا كله تدليسٌ وغشٌ محرمٌ، ويخالف الأمانة الخُلقية.

وأما النجش فهو: أن يبدي الشخص رغبة في شراء سلعة، لا ليشتريها، بل لإغراء غيره بها، وللإيهام بكثرة الراغبين فيها.

وهو محرمٌ شرعاً، ومن أنواع الغش، لما فيه من خداع الآخرين، والتغرير بهم.

---

(١) صحيح البخاري: باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل، رقم: ٢١٤٨.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة في النهي عن هذا الفعل، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تناجشوا»[١].

ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغريهم بالشراء.

ثالثا: الحجر على السفيه:

والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال، ولا يقدر عواقب تصرفاته، فيقدم عليها بدافع الطيش والهوى، وبعيداً عن العقلانية والرشد الذي هو إصلاح المال وتنميته والمحافظة عليه.

إذاً فالسفيه عكس الرشيد، والسفه عكس الرشد. ومن صور السفه مثلاً:

أن يستهلك الممرض أضعاف المطلوب من الشاش والمراهم في معالجة جرح مريض مثلاً. أو أن يستهلك العامل أضعاف ما يحتاج من الوقود للسيارة، أو الأسلاك لتمديدات كهربائية، ونحو ذلك.

وقد طالب الشرع بالحجر على السفيه ومنعه من التصرف بأمواله، حفاظاً عليها من الضياع والتبديد، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ [النساء ٥].

---

(١) صحيح البخاري: باب لا يبيع على بيع أخيه، رقم ٢١٤٠.

ولا شك أن النهي عن هذه التصرفات (الغلول والرشوة والتصرية والنجش والإسراف) من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

الوحدة الثالثة عشر

(خلق المحبة المهنية)

تعريف المحبة المهنية:

المحبة تعني الميل والود والإيثار قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [التوبة:٢٣] أي؛ إن اختاروا وآثروا وقدموا الكفر على الإيمان.

وللحب أنواع متعددة منها:

حب عقيدة وإيمان: وهو حب الله، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب آل بيت رسول الله، وحب قراءة القرآن، وحب الإنفاق في سبيل الله، وحب الجهاد ...وهكذا، ومن ذلك ما في الحديث: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

٢. حب فطرة وطبع: كحب الولد، وحب المال، وحب الحياة، وحب الطيب، وحب المناظر الجميلة ... وهكذا، وهي أشياء يستوي في حبها المؤمن والكافر، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، والحضري والبدوي، والمتعلم والجاهل، فالجميع مفطورٌ عليه، كما في قوله تعالى:

---

(١)صحيح البخاري: باب حلاوة الإيمان، رقم: ١٦.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران: ١٤]، فالآية لم تقل: زين للمؤمنين، أو للنساء، أو للرجال، بل قالت: للناس فدلت على أن الجميع مفطورٌ عليه.

٣. حب تقدير وإعجاب: كحب عقبة بن نافع، أو عبد الرحمن الداخل، أو صلاح الدين الأيوبي أو محمد الفاتح لبطولاتهم والفتوحات التي أجراها الله على أيديهم، وحب حاتم الطائي وابنه عدي لكرمهما، وحب عنترة لشجاعته، ، وحب آخر للنجاحات التي حققها في حياته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[الحشر:٩].

٤- حب مصلحة ومنفعة: كحبنا لمن قدَّمَ إلينا يد العون والمساعدة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها».

ويقول الشاعر أبو الفتح البستي في قصيدته (عنوان الحِكم):

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

٥- حب الرذائل وحب الشماتة، كحب الشر للأعداء، أو حب الفواحش والرذائل، ومن صور ذلك ما أخبر عنه القرآن الكريم بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور:١٩].

وما يتعلق ببحثنا هو النوع الرابع، أي؛ الحب المبني على المصلحة والمنفعة.

أصول المحبة المهنية:

إنّ المحبة المهنية تعني الميل تجاه المهنة لتحقيق أصول المحبة الثلاثة:

١- التوادد بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة.

٢- التراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة والمنتفعين منها.

٣- التعاطف من خلال الإيثار لمصلحة المهنة.

هذه الأصول الثلاثة جمعها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

هذه الأصول الثلاثة هي جسور المحبة التي تجعل من الجماعة كأنها شخص واحد، وكذلك تجعل من الشخص الواحد ومهنته وكأنهما شيءٌ واحدٌ.

(١) صحيح مسلم: باب تراحم المؤمنين، رقم: ٢٥٨٦.

فإذا تحقق هذا الاتحاد أمكن القول بأن خلق المحبة المهنية متحقق بالفعل.

شروط المحبة المهنية:

يتحقق خلق المحبة المهنية إذا توافرت الشروط التالية:

١ - تقديم مصلحة المهنة على سائر مصالحه الحياتية الأخرى:

بمعنى أن تكون مهنته هي الشغل الأهم له من بين أعماله اليومية الأخرى، فتفكيره في معظمه منصب على كيفية تطويرها بحيث تكون أنفع، وجهده منصب في أكثره على خدمتها بحيث تحقق نجاحاً أكبر، فهي مصدر رزقه، ومستقبلها مستقبله هو، وسمعتها الطيبة رأس مال له، واستمرارها ونجاحها نجاح له.. وهكذا، وبهذا يكون قد أثبت إخلاصه لمهنته، وتفانيه في حبها، وبذلك يصل إلى إتقانها على النحو الذي يحبه الله ورسوله، فالمدرس الذي يحب مهنته هو الذي يجعل مهنة التدريس شغله الأهم في شؤون حياته اليومية، ويسعى دائماً لتطويرها، ويسخر وقته وجهده وعلمه وعلاقاته بالآخرين في سبيل تطويرها والتقدم بها وإنجاحها، وهكذا الطبيب والمهندس والمحاسب والمحامي... وبقدر محبته لمهنته، يكون تضحيته في سبيل الرقي بها.

٢ - الانتصار للمهنة بالدفاع عنها وعن العاملين فيها:

وهذه نتيجة حتمية للشرط الأول، بمعنى أنه إذا أحب مهنته، وكان مخلصاً لها، متفانياً في محبتها، نتج عن ذلك بداهة دفاعه عنها، وغيرته

عليها، وعلى العاملين بها، ورأى أن كل انتقاص لها أو للعاملين عليها، انتقاص له، لأنه يرى فيها نفسه، وسمعته، ومستقبله. وهذه المحبة ستدفعه إلى الوقوف في وجه كل من يشوه سمعتها، أو يسيء إليها، وإنْ كان من العاملين فيها، لأنه يرى في ذلك حمايتها والانتصار لها، وذلك بالمفهوم الذي نبه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[1].

فأنا عندما آخذ على يد شقيقي أو ولدي أو صديقي فأمنعه من الظلم، أكون قد نصرته وأحسنت إليه من غير شك، لأني أنقذته من غضب الله، ومن الوقوع في المعصية، وصنت سمعته وسمعتي بين الناس، وسعيت في إرساء مبادئ العدالة التي بها قامت السماوات والأرض، وكذلك الانتصار للمهنة تكون بالأخذ على يد المسيء إليها حفاظاً على سمعتها، وسمعته وسمعة العاملين بها، وسعياً لتحقيق نجاح المهنة في بلوغ أهدافها على أكمل وجه.

٣- إفشاء السلام لنشر المحبة بين الناس وخصوصاً زملاء المهنة الواحدة:

فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، وإلقاؤه يعني تطمين المُسَلَّم عليه بأنه لن يجد الأذى أو ما يكرهه أو يخافه من جهته، فهو في أمان منه، وهو

(١) صحيح البخاري: باب ، رقم: ٦٩٥٢.

بذلك يفتح طريقه إلى قلبه، فتتولد المحبة بينهما، وتمتد جسور التواصل، وفي ذلك يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[١].

٤- طلاقة الوجه بشكل دائم:

وهذه بمثابة التكملة للشرط السابق، إذ ما قيمة السلام بوجه عبوس؟! إن السلام يجلب المحبة، ويجد طريقه إلى القلوب، إذا صاحبته البشاشة وطلاقة الوجه، لأنها الدليل الأقوى والأوضح على ما يكنه القلب لسامع السلام، ومن ثمَّ جاء الشرع بالحثِ عليه فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[٢].

وقال أيضاً: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ»[٣].

٥- الاعتناء بالنظافة الشخصية واختيار الزي المناسب لطبيعة المهنة:

لأن الذوق السليم يحب النظافة، وينفر من القذارة، والشخص النظيف محبوب لدى زملائه يألف ويؤلف، وديننا الحنيف دين الذوق الرفيع، ودين مراعاة المشاعر، ومن هنا حثَّ على الاغتسال لكل تجمع

---

(١) صحيح مسلم: باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم: ٩٣.

(٢) صحيح ابن حبان: باب ذكر بيان الصدقة للمرء، رقم ٥٢٩. قال المحقق: حديث صحيح.

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في طلاقة الوجه، رقم ١٩٧٠. وقال: حديث حسن صحيح.

مثل صلاة الجمعة، وصلاة العيد، وللإحرام بالحج والعمرة، وأمرنا بأن نكون كالشامة بين الناس، وما الوضوء للصلوات والاغتسال إلا أدلة عملية على مدى حب الدين للنظافة. وفي هذا السياق جاءت الآية القرآنية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف:٣١].

٦- إكرام ذوي الهيئات:

الإنسان عرضة للوقوع في الخطأ لنسيان، أو إهمال، أو جهل، أو ساعة ضعف، أو غير ذلك من الأسباب، والناس ليسوا جميعاً سواءٌ، فهناك من تردعه الإشارة، وهناك من لا يردعه إلا العقوبة القاسية، وبين المرتبتين مراتب كثيرة، بحسب تربية الشخص، وأخلاقه، واستقامته، وأصالته، وقد نبهنا ديننا إلى مراعاة ذلك، حتى لا نعتقد خطأً وجهلاً منا بمبدأ المساواة فنذهب إلى معاملة جميع الناس بنفس الطريقة فبين أن الخطأ على قسمين: خطأ يستوجب إقامة عقوبة محددة شرعاً وتسمى الحدود، وهذه لا مراعاة فيها، وتقام على الجميع، أياً كانت صفته أو مركزه في المجتمع لخطورة هذا النوع من الخطأ، وخطأ لا حدَّ فيه لأنه ليس بتلك الخطورة، لكنه لا يخلو منها، فهذا يستوجب التعزير، وهنا نجد أن الشرع يميز بين من هو من أصحاب المكانة والوجاهة في قومه، وبين غيره ممن هو ليس كذلك، والسبب هو أن الغرض من هذه العقوبة التأديب والردع لئلا يعيد ذاك الخطأ ثانية، وأصحاب الهيئات يكفيهم التنبيه والإشارة لينتبهوا ولا يعيدوه ثانية، بخلاف غيرهم فقد لا تردعه إلا العقوبة، وهذه العقوبة تتفاوت ما بين الكلمة الزاجرة، والعقوبة الجسدية أو السجن، حسب ما يراه القاضي رادعاً له، فعن عائشة رضي

الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»[١].

٧- إراحة العاملين في المواصلات والمواعيد والإقامة:

وذلك لأنّ هذه الأمور تشعره بأنه محل تقدير واحترام المسؤولين عنه، ولا شك أنهم أيضاً سيكونون محل محبته واحترامه وتقديره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موصياً بحسن معاملة العبيد: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم»[٢].

وإذا كان هذا ما ينبغي له فعله مع عبده، فكيف يجب أن يكون الحال مع حرٍ مثله، وزميله في المهنة! وصدق الله إذ يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرَّحمن: ٦٠]، فالتكريم والإحسان إلى الآخر يجلب محبته وإحسانه.

٨- الإيثار وتقديم مصالح الآخرين:

الإيثار هو أن يحرم الشخص نفسه، ويقدم مصلحة الآخرين وحاجتهم على مصلحة نفسه مع شدة حاجته، وهي مرتبة فوق الإحسان في سُلَّم القيم الأخلاقية، وقليل من الناس من يصل إلى هذه المرتبة،

---

(١) المسند: من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم: ٢٥٤٧٤. وقال المحقق: حديث جيد بطرقه.
(٢) صحيح البخاري: باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم: ٣٠.

وهي سبب رئيس للفوز بمحبة الله ومحبة العباد، وقد أثنى الله على الصحابة الأنصار لتحققهم بهذا الخلق العظيم، فقال تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩].

والخصاصة شدة الجوع، أي أنهم كانوا يؤثرون ويقدمون غيرهم على أنفسهم فيما يملكونه من زادٍ، مع شدة حاجتهم إليه، وليس يدفعهم إلى ذلك إلا الطمع فيما عند الله.

ولا يخفى مدى أهمية هذه الشروط في تحصيل وتحقيق المحبة المهنية.

التوجيه الفقهي لخلق المحبة المهنية:

ما ذكرناه سابقاً في التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية وما بعدها يقال هنا أيضاً، ومن ثمَّ فلا داعي لتكراره، أي أن الحد الأدنى من المحبة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود، وبحثنا هنا يتناول ما وراء ذلك.

كما أن هذه المحبة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطلب من المدرس يختلف في بعض جوانبه عن ما يطلب من الطبيب أو القاضي أو المحاسب.

وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة كالبيت والشارع.

ثم ننبه هنا إلى أن الأصل في الإنسان أن يختار مهنةً يحبها، وتنسجم مع ميوله وتوجهاته، ويجد فيها راحته النفسية، إلا أن كثيرًا من الناس اليوم

لم تعد محبته وميوله للمهنة هي التي توجهه، بل الدخل الأكثر، والسمعة، والمكانة الاجتماعية بين الناس! وهو ما انعكس سلباً على خُلُق المحبة المهنية، فأصبحنا نجد أناساً يمارسون مهنهم بغير رغبة منهم، ولا شعور بولاء تجاهها، بل ربما مارسوها وهم لها كارهون.

الأدلة في الحث على المحبة المهنية:

يدل لخلق المحبة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية، نذكر منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩].

فقد امتدح الله الأنصار لاتصافهم بخلق المحبة والإيثار، فعلى الرغم من أن الله قدم ذكر المهاجرين على ذكرهم، وأعطى المهاجرين من الفضل والشرف أكثر مما أعطاهم، فإنهم لم يتأثروا بذلك، ولم تتمكن دوافع الغيرة والأنانية من التأثير على نفوسهم الطيبة الزكية، فسجل الله لهم تلك الصفة الخلقية الراقية.

٢- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] فالآية تثني على المحسنين، والإحسان من خلق المحبة المهنية.

٣- عن أنس بن مالكٍ، قالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ الله: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ الله، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثِ مَجَالِسَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ فَأَنْظُرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا

أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[1].

فهذا الرجل لم يقدم مقداراً زائداً من العبادة أكثر من غيره بحيث تكون هذه الزيادة هي السبب وراء استحقاقه ذلك الفضل من الله، وتلك الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل قدم سلامة الصدر من الغش والحسد ونحوه تجاه أحدٍ من المسلمين، وهذه السلامة للصدر هي من أخلاق المحبة المهنية.

مظاهر المحبة المهنية:

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال المحبة الخلقية، نشير هنا إلى بعض منها:

١ - استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة:

اتفق الفقهاء على أن الاستئذان من الرئيس في المهنة مطلوب، ولا شك أنه من خلق اللياقة المهنية، ومن شأنه أن يحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه، كما أن عدم الاستئذان وتجاهل المسؤول فيه ما فيه من الكبر، ويؤدي إلى التنافر والتباغض بين الأطراف، ومن ثمَّ وجدنا الإسلام يعلم المسلمين هذا الخلق الرفيع في أكثر من موضع، من ذلك قول الله تعالى في الحث على الاستئذان بصفة عامة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ

(١) المسند: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم: ١٢٦٩٧. وقال المحق: إسناده صحيح.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النور:٢٧]، وفي الحث على الاستئذان من الرئيس خاصة يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور:٦٢].

ودلالة الآية على أدب الاستئذان واضحة جلية، لا تحتاج توضيحاً أكثر.

٢- إفشاء السلام ورده:

أجمع الفقهاء على أن إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم» وقد تقدم آنفاً.

وأما الرد فواجب؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[النساء:٨٦].

فقد أمرت الآية بالرد وجوباً، وعلقت ذلك على حال إلقاء السلام، وأما الإلقاء فلم تأمر به الآية، ومن ثمَّ كان الفرق بين الحالتين، حالة الإلقاء، وحالة الرد، فالأول مندوبٌ، والثاني واجبٌ.

ولا يخفى أن السلام عموماً من عوامل زرع المحبة بين الناس، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق، ومن ثمَّ كان مطلوباً شرعاً.

٣- الإحسان إلى زميل المهنة:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦].

وجه الدلالة أن الله سبحانه أمر المؤمن بالإحسان إلى الجار ذي القربى، وهو من كان بينهما قرابة النسب، وقيل: الزوجية. كما أمر بالإحسان إلى الجار الجنب، وهو الجار الغريب ليس من القوم أو القبيلة، وقد نزل بينهم، وكذلك أمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب، وهو رفيق السفر أو الضيف، وزميل المهنة لا يقل منزلة عن هؤلاء فيجب الإحسان إليه، والرفق به في المعاملة.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين: «جملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمته، ولا

يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين»[١].

وقد وردت نصوص كثيرة من الشرع في بيان حق الجار نكتفي بذكر هذين الحديثين:

قوله صلى الله عليه وسلم: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[٣].

فهذان الحديثان يبينان بجلاء حق الجوار في الإسلام، ويلحق بهما زميل المهنة، لأنه جار في العمل، فينبغي أن يعامل بنفس القدر من الاحترام والرحمة والإحسان التي هي من خصال المحبة المهنية.

---

(١) إحياء علوم الدين: ٢/ ٢١٣.

(٢) صحيح البخاري: باب الوصاة بالجار، رقم: ٦٠١٥.

(٣) صحيح البخاري: باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم: ٦٠١٦.

الوحدة الرابعة عشر

(نماذج من مواثيق الشرف أو المهنة)

مقدمة عامة:

قدَّمْنا فيما سبق نُبذة عن أمهات أخلاق المهنة من الطهارة والأمانة والاستقامة والتعاون والمحبة، وذكرنا أن القدر الضروري من هذه الأخلاق منصوص عليه في الأنظمة والعقود، ومن ثمَّ فهي واجبات، يُلزمُ بها المرءُ بقوة القانون، خلافاً لأخلاق المهنة التي هي سلوكٌ راقٍ متعارف عليه بين أهل المهنة، وينعكس إيجاباً على أدائهم لمهنتهم.

وقد درج العاملون في كثير من المهن في عالم اليوم على وضع مواثيق لمهنتهم، أسموها ميثاق الشرف، وهذه المواثيق في معظم بنودها محل اتفاق بين العقلاء، وقد تختلف في بعض الجزئيات من بلد إلى بلد حسب القيم التي يمجدها أهل كل بلد. كما أنها تختلف في بعض بنودها من مهنة إلى أخرى، مراعاة لطبيعة المهنة، وما يناسبها، فما يطالب به الطبيب يختلف عن ما يطالب به القاضي أو المدرس في بعض الجوانب، وإن كانت قليلة. كما أن هذه المواثيق تقتصر على ما يخص المهنة من حيث المكان والزمان والأشخاص، ولا شأن لها بما وراء ذلك.

وفيما يلي نقدم ميثاق الشرف لمهنة التعليم في المملكة أنموذجاً، لنقف من خلاله على الجوانب التي أشرنا إليها آنفاً:

ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم:

مقدمة .

المادة الأولى : يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها .

المادة الثانية : أهداف الميثاق .

المادة الثالثة : رسالة التعليم .

المادة الرابعة : المعلم وأداؤه المهني .

المادة الخامسة : المعلم وطلابه .

المادة السادسة : المعلم والمجتمع .

المادة السابعة : المعلم والمجتمع المدرسي .

المادة الثامنة : المعلم والأسرة .

المقدمة :

تعد مهنة التعليم رسالة رفيعة الشأن، عالية المنزلة، تحظى باهتمام الجميع؛ لما لها من تأثير عظيم في حاضر الأمة ومستقبلها.

ويتجلى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء.

وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها، ونحن بفضل الله نستمد أخلاقيات هذه المهنة من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾، فهو خير قدوة يقتدي بها الأفراد، وخصوصًا الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني في السلوك.

إن هذا الميثاق يتضمن ما يشعر به كل معلم أنه يتعين عليه مراعاته في أدائه لرسالته، وقيامه بعمله قِبَلَ أبنائه الطلاب وزملائه العاملين في الميدان التربوي، وقِبَلَ الوطن بوجه عام، والأمة التي ينتمي إليها بوجه أعم والإنسانية جمعاء.

فالمعلم الناجح هو الذي يأسر قلوب طلابه بلطفه، وحسن خلقه، وحبه لهم، وحنوه عليهم، وينال إعجابهم واحترامهم بتمكنه من مادته التي يعلمها، وببراعة إيصالها إليهم.

والمعلم المحب لعمله يخلص له، ويجد المتعة فيه، وتهون عليه الصعاب والطالب يحب معلمه ويحترمه لما يجد فيه من قدوة حسنة، وعلم راسخ وحكمة ورفق.

ورسولنا المعلم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه».

وبحب الطالب للمعلم، يحب المادة، ويستسهل صعبها، ويتألق فيها؛ فينظر المعلم كيف يدخل إلى قلوب أبنائه ليؤدي المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه.

ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه؛ فالجاهل لا يستطيع أن ينفع العلم، والضعيف لا يقدر أن يعين بقوة، وأنى للمعلم أن يرقى بالمتعلم! وأنّى للمربي إذا لم يكن رصيده من القوة في العلم والأمانة والخلق ما يسع المتعلمين! .

ومن هنا، فالمعلم في المملكة العربية السعودية ينتمي إلى بلد شرفها الله بأنها منطلق رسالة الإسلام، كما شرفها بخدمة الحرمين الشريفين؛ لذا عليه أن يمثل المسلم الذي يعبد الله على بصيرة بعيداً عن الغلو أو التطرف أو الجفاء أو الانحلال، وأن يكون لطلابه قدوة حسنة يتأسون به، مهتدياً بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الوسطية، التي دعا إليها الدين الحنيف في قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة ١٤٣].

المادة الأولى: المصطلحات الواردة في الميثاق:

يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها :

- أخلاقيات مهنة التعليم : السجايا الحميدة والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلى بها العاملون في حقل التعليم العام فكراً وسلوكاً أمام الله ثم أمام ولاة الأمر وأمام أنفسهم والآخرين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية.

- المعلم: المعلم والمعلمة والقائمون والقائمات على العملية التربوية من مشرفين ومشرفات ومديرين ومديرات ومرشدين ومرشدات ونحوهم.

- الطالب: الطالب والطالبة في مدارس التعليم العام وما في مستواها .

المادة الثانية: أهداف الميثاق:

يهدف الميثاق إلى تعزيز انتماء المعلم لرسالته ومهنته، والارتقاء بها والإسهام في تطوير المجتمع الذي يعيش فيه وتقدمه، وتحبيبه لطلابه وشدهم إليه، والإفادة منه

وذلك من خلال الآتي:

١ - توعية المعلم بأهمية المهنة ودورها في بناء مستقبل وطنه.

٢ - الإسهام في تعزيز مكانة المعلم العلمية والاجتماعية.

٣- حفز المعلم على أن يتمثل قيم مهنته وأخلاقها سلوكاً في حياته.

المادة الثالثة: رسالة التعليم:

١. التعليم رسالة تستمد أخلاقياتها من هدي شريعتنا ومبادئ حضارتنا، وتوجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصاً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً لنشر العلم وفضائله.

٢. المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ويؤمن بأهميتها، ويؤدي حقها بمهنية عالية.

٣. اعتزاز المعلم بمهنته وإدراكه المستمر لرسالته يدعوانه إلى الحرص على نقاء السيرة وطهارة السريرة ، حفاظاً على شرف مهنة التعليم.

المادة الرابعة: المعلم وأداؤه المهني:

١. المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله، الوسطي في تعاملاته وأحكامه.

٢. المعلم يدرك أن النمو المهني واجب أساس، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعاً بكل جديد في مجال تخصصه، وفنون التدريس ومهاراته.

٣. يدرك المعلم أن الاستقامة والصدق، والأمانة، والحلم، والحزم، والانضباط، والتسامح، وحسن المظهر، وبشاشة الوجه، سمات رئيسة في تكوين شخصيته.

٤. المعلم يدرك أن الرقيب الحقيقي على سلوكه، بعد الله سبحانه وتعالى، هو ضمير يقظ وحسٌّ ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية، لذلك يسعى المعلم بكل وسيلة متاحة إلى بث هذه الروح بين طلابه ومجتمعه، ويضرب المثل والقدوة في التمسك بها.

٥. يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيداً عن الغلو والتطرف.

المادة الخامسة: المعلم وطلابه:

١. العلاقة بين المعلم وطلابه، والمعلمة وطالباتها، لُحْمتها الرغبة في نفعهم، وسَداها الشفقة عليهم والبر بهم، وأساسها المودة الحانية، وحارسها الحزم الضروري، وهدفها تحقيق خيريّ الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم.

٢. المعلم قدوة لطلابه خاصة، وللمجتمع عامة، وهو حريص على أن يكون أثره في الناس حميداً باقياً، لذلك فهو يستمسك بالقيم الأخلاقية، والمثل العليا ويدعو إليها وينشرها بين طلابه والناس كافة، ويعمل على شيوعها واحترامها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٣. يحسن المعلم الظن بطلابه ويعلمهم أن يكونوا كذلك في حياتهم العامة والخاصة ليلتمسوا العذر لغيرهم قبل التماس الخطأ، ويروا عيوب أنفسهم قبل رؤية عيوب الآخرين.

٤. المعلم أحرص الناس على نفع طلابه، يبذل جهده كله في تعليمهم، وتربيتهم، وتوجيههم، يدلهم على طريق الخير ويرغبهم فيه ويبين لهم الشر ويذودهم عنه، في رعاية متكاملة لنموهم دينياً وعلمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وصحياً.

٥. المعلم يعدل بين طلابه في عطائه وتعامله ورقابته وتقويمه لأدائهم، ويصون كرامتهم ويعي حقوقهم، ويستثمر أوقاتهم بكل مفيد وهو بذلك لا يسمح باتخاذ دروسه ساحة لغير ما يعنى بتعليمه، في مجال تخصصه.

٦. المعلم أنموذج للحكمة والرفق، يمارسهما ويأمر بهما، ويتجنب العنف وينهي عنه ويعوّد طلابه على التفكير السليم والحوار البناء، وحسن الاستماع إلى آراء الآخرين والتسامح مع الناس والتخلق بخلق الإسلام في الحوار، ونشر مبدأ الشورى.

٧. يعي المعلم أن الطالب ينفر من المدرسة التي يستخدم فيها العقاب البدني والنفسي، لذا فإن المربي القدير يتجنبهما، وينهى عنهما.

٨. يسعى المعلم لإكساب الطالب المهارات العقلية والعلمية، التي تنمي لديه التفكير العلمي الناقد، وحب التعلم الذاتي المستمر وممارسته

المادة السادسة: المعلم والمجتمع:

١. يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها.

٢. المعلم أمين على كيان الوطن ووحدته وتعاون أبنائه، يعمل جاهداً لتسود المحبة المثمرة والاحترام الصادق بين الموطنين جميعاً وبينهم وبين ولي الأمر منهم، تحقيقاً لأمن الوطن واستقراره، وتمكيناً لنمائه وازدهاره، وحرصاً على سمعته ومكانته بين المجتمعات الإنسانية الراقية.

٣. المعلم موضع تقدير المجتمع، واحترامه، وثقته، وهو لذلك حريص على أن يكون في مستوى هذه الثقة، وذلك التقدير والاحترام، ويحرص على أن لا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة المجتمع به واحترامه له.

٤. المعلم عضو مؤثر في مجتمعه، تعلق عليه الآمال في التقدم المعرفي والارتقاء العلمي والإبداع الفكري والإسهام الحضاري ونشر هذه الشمائل الحميدة بين طلابه.

٥. المعلم صورة صادقة للمثقف المنتمي إلى دينه ووطنه، الأمر الذي يلزمه توسيع نطاق ثقافته، وتنويع مصادرها، ليكون قادراً على تكوين رأي ناضج مبني على العلم والمعرفة والخبرة الواسعة، يعين به طلابه على سعة الأفق ورؤية وجهات النظر المتباينة باعتبارها مكونات ثقافية تتكامل وتتعاون في بناء الحضارة الإنسانية.

المادة السابعة: المعلم والمجتمع المدرسي:

١. الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق الواحد هو أساس العلاقة بين المعلم وزملائه، وبين المعلمين والإدارة التربوية.

٢. يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة والتعليمات وتنفيذها والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعالياتها المختلفة، أركان أساسية في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

المادة الثامنة: المعلم والأسرة:

١. المعلم شريك الوالدين في التربية والتنشئة فهو حريص على توطيد أواصر الثقة بين البيت والمدرسة.

٢. المعلم يعي أن التشاور مع الأسرة بشأن كل أمر يهم مستقبل الطلاب أو يؤثر في مسيرتهم العلمية، وفي كل تغير يطرأ على سلوكهم، أمر بالغ النفع والأهمية.

٣. يؤدي العاملون في مهنة التعليم واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ التي تضمنتها هذه الأخلاقيات ويعملون على نشرها وترسيخها وتأصيلها والالتزام بها بين زملائهم وفي المجتمع بوجه عام.

الخاتمة

١-يمثل الخُلُق صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه، ومن هنا عُرِّفَ بأنه: حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكْرٍ و رَوِيَّة. إلا أن الخُلُق قد يطلق على نفس القواعد المنظمة للسلوك الإنساني فنقول: الصِّدق من أخلاق الله، أي يحبه الله ويتصف به، والعدل خلق الإسلام.

٢-أقام الإسلام نظامه الأخلاقي على أسس متينة من عقيدة التوحيد -المتمثلة في الإيمان بالله واليوم الآخر- وعلى أسس علمية و واقعية، وعلى مراعاةٍ للطبيعة الإنسانية، فلذلك كانت الأصلح والأقوم للإنسان.

٣-تمتاز الأخلاق الإسلامية بانبثاقها عن عقيدة الإسلام، وبشموليتها وتنوع مجالاتها واستيعابها لمناحي الحياة كلها، وبثباتها مهما امتدت الأزمان أو تغيرت الأحوال، وبجمعها بين الواقعية والمثالية، وباعتدالها وضبطها للأخلاق بما يحافظ عليها ويبقيها في دائرة النفع والخير.

٤-من الخُلُق ما هو فطري يمنُّ الله به على من يشاء من عباده، ومنه ما هو مكتسب يُحَصِّلُه المرء بجده واجتهاده، ولعل أهم ما يمكن أن يعين المرء على اكتساب الأخلاق مجاهدة النفس وحملها على الخلق القويم بالممارسة والتدريب، وكذا بمجالسة الصالحين، والاقتداء بأصحاب السير النبيلة من الدعاة والقادة والمصلحين.

٥-مصدر الأخلاق في الإسلام هو الشرع، والعقول وإن كانت تدرك الحسن والقبح في كثير من الأحوال، إلا أن الشرع هو مصدر الإلزام، والله هو الذي يكافئنا على أفعالنا.

٦-مهما كتب وقيل في أخلاق الحبيب محمد ﷺ، فإنه لن يبلغ ثناء الله عليه وعلى أخلاقه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾، وأعظم خدمة نقدمها للبشرية ونحن ندعوها إلى الله تعالى، هو أن نُعرِّفها بأخلاق وشمائل نبينا ﷺ، ليتخذوه مَثَلاً أعلى لهم في الحياة.

٧-تطلق المهنة في الاصطلاح المعاصر على الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من الممارسات والخبرات التدريبية، يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل.

٨-يطلق أخلاق المهنة على القيم والأعراف والتقاليد التي يتفق ويتعارف عليها أفراد مهنة، وما يعتبرونه أساساً لتعاملهم وتنظيم أمورهم وسلوكهم في إطار المهنة.

٩-تجمع أمهات أخلاق المهنة في صفات خمسة هي: الطهارة المهنية، والاستقامة المهنية، والتعاون المهني، والأمانة المهنية، والمحبة المهنية.

١٠-تعني الطهارة المهنية؛ تطهير المهنة وتنزيهها عن النقائص والعيوب من خلال المحافظة على السمعة الطيبة ممن يقدم المهنة، ومن خلال جودة الأداء.

١١-تعني الاستقامة المهنية؛ الاعتدال في أداء المهنة من جهة، وملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق من جهة أخرى.

١٢-يعني التعاون المهني؛ المساعدة في إيجاد المهنة، وأداء مهامها بروح الفريق الواحد من خلال التزام جميع الأطراف بتسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس الشريف.

١٣-تعنيي الأمانة المهنية؛ الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها، وعدم الخيانة فيها، وعدم إفشاء أسرارها، وعدم تقديم مصالحه على مصالحها، وعدم استغلال منصبه فيها من أجل مصالحه الشخصية، وعدم الإسراف لدى التصرف في أموالها.

١٤-تعني المحبة المهنية؛ الميل تجاه المهنة بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة، والتراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة، والتعاطف من خلال الإيثار.

(ملحق بتوضيح بعض الأسئلة التي يكثر السؤال عنها)

هناك بعض التساؤلا التي يكثر طرحها من قبل الطلاب ويمكن إجمالها فيما يأتي:

س ١: هناك الكثير من الأدلة التي أوردتها في صلب الكتاب فهل يجب حفظها جميعاً؟

الجواب: لا يجب حفظها، بل فهمها. بمعنى أنه إذا وضع بين يديك نصٌ من آية أو حديث، فإن المطلوب منك معرفة وجه الدلالة فيه، بأن تعرف في أي سياق ورد النص؟ وما الغاية منه؟ وخصوصاً أن الإجابات تكون بين يديك وتختار الإجابة الصحيحة.

س ٢: هناك نقولات من مراجع وكتب، وهي طويلة، فهل المطلوب حفظها غيباً؟

الجواب: لا يجب حفظ تلك المقاطع، ويكفي فهم مضمونها فقط، وما تحتوي عليه من أفكار.

س ٣: هل يُطلب منا حفظ أسماء العلماء الذين نقلت عنهم، والنصوص المنسوبة إليهم؟

الجواب: لا ليس ذلك مطلوبا منكم، ولكن بعض المقولات مثل مقولة : إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، يجب أن تعرف قائلها. وكذلك مقولة: إن الله يقيم الدولة العادلة... ، ومقولة: إني لأرى الرجل

فأسأل عن حرفته ..، ومقولة: لقد علم قومي أن حرفتي..، وما أشبه ذلك من الأقوال المأثورة والمشهورة، فهذه يجب معرفة قائليها.

س ٤: ربما بعض الأمثلة أو النصوص تصلح للاستدلال بها في أكثر من موضع. فما الحل؟

الجواب: نعم؛ قد يكون ذلك، لكني منتبه لهذا الأمر، وأضعه في الاعتبار عند وضع الأسئلة، ولا أريد أن يلتبس الأمر على الطالب ويقع في الحيرة، والتردد، ومن ثَمَّ فإن الاحتمالات القريبة من بعضها أستبعدها، أو أضع في الأجوبة : كلاهما صحيح. أو جميعها صحيح. إذا كان هناك أكثر من إجابة صحيحة.

س ٥: الأمانة المهنية والاستقامة المهنية والطهارة المهنية كلها قريبة من بعضها وقد تتداخل فكيف نميزها عن بعضها؟

الجواب: هذا صحيح، ومن ثم فإنه يحتاج إلى بعض التركيز والدقة في التمييز عند القراءة والتحضير للاختبار، وأفضل: أن يحمل الطالب ورقة وقلما فيرسم كلمة الطهارة مثلا ويرسم دوائر صغيرة من حولها كل دائرة لواحدة من المعاني: كأن يقول: الطهارة تعني النزاعة عن العيوب والنقائص، والطهارة تعني السمعة الطيبة ، ومجالسة الصالحين، والإعراض عن السفهاء، والتحلي بالتواضع، والطهارة تعني جودة الأداء، والاتقان .. وهكذا، ثم يركز على الآيات والأحاديث الواردة في هذه المعاني. ويقال مثل ذلك في الاستقامة، وأنها تعني الاعتدال (والعدل) وتعني الاستواء، وتعني الثبات والاستمرارية والملازمة ...

فيلزم من ذلك الوفاء بمصالح المهنة والحرص عليها، ويجب لزوم طاعة الرؤساء، ومطاوعة الزملاء، والتزام المشورة والصدق ونحوها من الأمور التي يكون لها انعكاس إيجابي على استمرارية المهنة ... . وهكذا يقال في الباقي من الأمانة والتعاون والمحبة المهنية.

س٦: هل من توجيهات بخصوص أسئلة الاختبار؟

الجواب: نعم؛ من ذلك أنه يجب قراءة السؤال جيداً وفهمه، وعدم المبادرة إلى الإجابة قبل التأكد من فهمها الفهم الدقيق والصحيح. فمثلاً يجب التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي. ويجب التمييز بين النص من القرآن الكريم والنص من السنة، فقد يكون كلا النصين وارداً في السياق ذاته لكن المطلوب الآية فقط، أو الحديث فقط كما في المثال التالي:

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله، منها:

أ - (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)

ب- (من حدث في مجلس بحديث فالتفت فهي أمانة)

ج- كلاهما صحيح.

د- كلاهما خطأ.

فإن من لا يقرأ السؤال بدقة قد يبادر إلى اختيار (ج) ويقول: كلاهما صحيح. والحال أن الجواب الصحيح (أ) فقط، لأن المطلوب الآية،

و(ب) حديث شريف وليس آية، ويجب أن نميز بين ما هو آية، وما هو حديث.

ويقال مثل ذلك في المثال التالي:

يطلق الخُلُق (بضم الخاء واللام) لغة على:

أ- المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني.

ب- حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ.

ج- كلاهما صحيح.

د- كلاهما خطأ.

فإن من لا يركز على السؤال بدقة قد يبادر إلى اختيار أن الجواب الصحيح (ج) فيقع في الخطأ، لأنه صحيح لو كان السؤال عن المعنى الاصطلاحي، وسؤالنا إنما هو عن المعنى اللغوي.

(نموذج أسئلة موضوعية حول هذا الكتاب)

١. يمثل الخُلُق (بضم الخاء واللام) صورة الإنسان :

أ- الباطنة. ب- الظاهرة. ج- كلاهما صحيح. د- كلاهما خطأ.

٢. الأفعال الخُلقية هي التي تصدر من الإنسان:

أ- من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ. ب-من غير تكلف أو مجاهدة نفس.

ج- بسهولة ويسر وبطريقة تلقائية. د- جميعها صحيح.

٣. القوانين الأساسية للحياة البشرية في نظر الإسلام هي قانون:

أ- المحافظة على الحياة. ب- تكاثر النوع الإنساني.

ج- الارتقاء العقلي والروحي. د- جميعها صحيح.

٤. اعتبر الإسلام كل سلوك يؤدي إلى إبقاء النوع سلوكاً أخلاقياً راقياً ومن ثمَّ:

أ- شرع الزواج. ب- نهى عن التبتل.

ج- نهى عن الرهبانية. د- جميعها صحيح.

٥. الشجاعة خلق كريم، ويأتي وسطاً بين رذيلتي، هما:

أ- التهور والجبن. ب- العفة والخمود.

ج- التعقل والتهور. د- جميعها خطأ.

٦. الحياء خلق كريم، ويأتي وسطاً بين رذيلتين، هما:

أ- التهور والجبن. ب- صفاقة الوجه والمهانة.

ج- التعقل والتهور. د- جميعها خطأ.

٧. من وسائل اكتساب الأخلاق الضغط الاجتماعي، ويُقصد به :

أ- المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته. ب- وسائل الإعلام من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات وحوارات. ج- كلاهما صحيح. د-كلاهما خطأ.

٨. في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ..) إشارة إلى دور:

أ- البيئة الصالحة. ب- الجليس الصالح.

ج- التدريب والممارسة. د- الضغط الاجتماعي.

٩. من الأمور المتفرعة عن الشرع والمعينة على تحقيق الالتزام الخلقي:

أ- العقل. ب- الفطرة. ج- الضمير الخلقي. د- جميعها صحيح.

١٠. يُسمى تَحَمُّلُ الشخصِ ما يَصدرُ عنه من قولٍ أو عملٍ :

أ- مسؤوليةً. ب- جزاءً. ج- تكليفاً. د- إلزاماً.

١١. كان النبي يتعبد ربه حتى تتفطر قدماه، فإذا سئل لم هذا وقد غفر لك أجاب أفلا أكون عبداً:

أ- صبوراً. ب- مؤمناً. ج- شكوراً. د- جميعها صحيح.

١٢. يقول عليٌّ رضى الله عنه: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَومُ الْقَومَ، اتَّقَيْنَا بـ :

أ- أبي بكر رضي الله عنه. ب- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ج- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. د- جميعها خطأ.

١٣. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت :

أ- اليهود موسى بن عمران. ب- الفرس كسراها.

ج- الروم عظماءها. د- النصارى ابن مريم.

١٤. كان النبي يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة:

أ- فيرفض. ب- فيعتذر. ج- فيجيب. د- فيبتسم ويسكت.

١٥. الوسيلة التي يُرْتزق منها بصفة مستمرة وتحتاج إلى تدريب قصير كالزراعة:

أ- تسمى المهنة. ب- تسمى الكسب.

ج- تسمى الحرفة. د- تسمى العمل.

١٦. النبي الذي قال الله فيه: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) هو:

أ- إبراهيم عليه السلام. ب- إدريس عليه السلام.

ج- داود عليه السلام. د- أيوب عليه السلام.

١٧. يحرم تولية الجاهل منصب القضاء حفاظاً على جودة الأداء التي هي من:

أ- خصال المحبة المهنية. ب- خصال الطهارة المهنية.

ج- خصال الأمانة المهنية. د- خصال التعاون المهني.

١٨. شهادة حسن السلوك التي تطلبها جهات التعاقد من المتعاقدين تندرج في خُلُق:

أ- الطاعة المهنية. ب- الطهارة المهنية.

ج- المحبة المهنية. د- التعاون المهني.

١٩. طاعة الرؤساء شرط لتحقق خلق:

أ- التعاون المهني. ب- الأمانة المهنية.

ج- الاستقامة المهنية. د- المحبة المهنية.

٢٠. مراجعة أهل الاختصاص والخبرة؛ لأخذ رأيهم، والعمل بموجبه يسمى الشورى وهو من خصال خلق:

أ- الاستقامة المهنية. ب- التعاون المهني.

ج- الطهارة المهنية. د- المحبة المهنية.

٢١. الصبر (في تلقي البيوع حتى تستقر الأوضاع) مبدأ أخلاقي، ومن خصال خُلُق:

أ- الاستقامة المهنية. ب-الطهارة المهنية.

ج- الوظيفة المهنية. د- التعاون المهني.

٢٢. بذل النصح للآخرين مبدأ أخلاقي كريم، وهو من أهم خصال خُلُق:

أ- الاستقامة المهنية. ب-الطهارة المهنية.

ج- الأمانة المهنية. د- التعاون المهني.

٢٣. استخدام الأصباغ أو الألوان الخادعة التي تخفي حقيقة وضع السلعة، تدليسٌ وغشٌ، ويخالف:

أ- الأمانة المهنية. ب- التعاون المهني.

ج- الاستقامة المهنية. د- جميعها خطأ.

٢٤. منع الاستغلال والإسراف في المعاملات من خصال خُلُق:

أ- المحبة المهنية. ب- الطهارة المهنية.

ج- الأمانة المهنية. د- الكمال المهني.

٢٥. إفشاء السلام بين زملاء المهنة من خصال:

أ- الطهارة المهنية. ب- الاستقامة المهنية.

ج- التعاون المهني. د- جميعها خطأ.

٢٦. تُعدُّ صفة الإيثار من أهم خصال خُلُق:

أ- العبادة. ب-الطهارة المهنية.

ج- المحبة المهنية. د- العقيدة.

٢٧. يعي المعلم أن الطالب ينفر من المدرسة التي :

أ- تلزم الطلاب بالدوام. ب- يكثر فيها المجتهدون.

ج- يستخدم فيها العقاب البدني. د- جميعها خطأ.

٢٨. يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء :

أ- لدينه. ب- لوطنه. ج- لمجتمعه. د- جميعها صحيح.

تم الكتاب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥ هـ). المصنف في الأحاديث والآثار. نشر: مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ الطبعة الأولى، تحقيق: كمال الحوت.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). مجموع الفتاوى. طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. طبعة دار المعرفة، بيروت.

٤. ابن حميد، صالح بن عبد الله. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. نشر: دار الوسيلة، جدة، الطبعة: الرابعة.

٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله (ت: ٤٦٣هـ). التمهيد. الطبعة: الأولى، وزارة الأوقاف، المغرب ١٣٨٧هـ.

٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

٧. ابن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد. نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

٨. ابن قيم الجوزية. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩. ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠. ابن كثير، إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.

١١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) السيرة النبوية.

١٢. ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجه. طبعة دار الفكر، بيروت.

١٣. ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت: ٤٢١هـ). تهذيب الأخلاق. نشر: دار الكتب العربية، بيروت، طبعة ثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٤. ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي (ت: ٨٠٤هـ). البدر المنير. تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرين، نشر: دار الهجرة، الرياض، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ). لسان العرب. نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦. ابن هشام، عبد الملك (ت: ٢١٣هـ). السيرة النبوية. نشر: دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

١٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ). السنن. نشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٨. أبو شعيرة، خالد (معاصر). التربية المهنية بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الحديث. دار جرير، عمان، الطبعة، الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٩. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي (ت: ٣٠٧هـ). المسند. نشر: دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

٢٠. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ). بهجة قلوب الأبرار. تحقيق عبد الكريم ال الدريني، نشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢١. الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، نشر: دار الصديق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزياداته. نشر: المكتب الإسلامي. بيروت.

٢٣. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). الجامع الصحيح المختصر. نشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٢٤. البغوي، الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ). شرح السنة. نشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، طبعة ثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٢٥. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ). السنن الكبرى. نشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٢٦. الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩ هـ). سنن الترمذي. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٧. الترمذي، محمد بن عيسى. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ، تحقيق: سيد عباس الجليمي.

٢٨. الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت: ٣٧٠هـ). أحكام القرآن. نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.

٢٩. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (ت: ٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عطا.

٣٠. الدار قطني، علي بن عمر (ت: ٣٨٥هـ). سنن الدار قطني. طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ.

٣١. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء. تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٣٢. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٤ هـ). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٣. الشيباني، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ). المسند. الطبعة: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.

٣٤. الصَّلاَّبي، عَلي محمد. السِّيرةُ النّبوية (عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث). نشر: دار المعرفة، الطبعة: السابعة، بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٥. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠ هـ). المعجم الأوسط. نشر: دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله،عبد المحسن الحسيني.

٣٦. الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. نشر مكتبة الزهراء، الطبعة: الثانية، الموصل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي.

٣٧. العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت: ١١٦٢هـ). كشف الخفاء. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة، تحقيق: أحمد القلاش.

٣٨. الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ). إحياء علوم الدين. نشر: دار المعرفة – بيروت.

٣٩. الغزالي، محمد بن محمد. ميزان العمل. نشر: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٠. الغزالي، محمد (معاصر). خلق المسلم، الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٤١. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ). القاموس المحيط. طبعة ثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٢. القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. طبعة دار الشعب، القاهرة ١٤٠٥هـ.

٤٣. القشيري، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ). صحيح مسلم. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٤. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ). الأحكام السلطانية والولايات الدينية. نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٥. الماوردي، علي بن محمد. أعلام النبوة. نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

٤٦. مصطفى، إبراهيم وآخرون (معاصرون). المعجم الوسيط. نشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٤٧. المناوي، عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير. نشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٦هـ الطبعة: الأولى.

٤٨. المناوي، عبد الرؤوف. التيسير بشرح الجامع الصغير. نشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٩. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت : ٦٥٦هـ). الترغيب والترهيب. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

٥٠. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. الأخلاق الإسلامية وأسسها. الطبعة: السابعة، دمشق ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥١. النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣ هـ). السنن الكبرى. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٥٢. النووي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ). شرح النووي على صحيح مسلم. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ الطبعة: الثانية.

٥٣. النووي، يحيى بن شرف. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. الطبعة: الثالثة ، نشر: دار الفكر، بيروت ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٥٤. النووي، يحيى بن شرف. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار. نشر: دار الكتب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٥. هلالي، سعد الدين مسعد. المهنة وأخلاقها. من مطبوعات جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

٥٦. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧ هـ). بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. تحقيق: د. حسين الباكري، نشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، الطبعة: الأولى، المدينة المنورة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٧. يالجن، مقداد. علم الأخلاق الإسلامية. دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ثانية، ١٤٢٤هـ.

الفهرس

الوحدة الأولى: تعريف الخُلق.	٦
موضوع الأخلاق.	٩
أقسام الخلق	١٠
مكانة الأخلاق في الإسلام	١٣
الوحدة الثانية: أسس الأخلاق في الإسلام	٢١
الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية	٢١
الأساس الواقعي للأخلاق الإسلامية	٢٥
الأساس العلمي للأخلاق الإسلامية	٢٦
مراعاة الطبيعة الإنسانية	٣٠
الوحدة الثالثة: خصائص الأخلاق الإسلامية	٣١
الانبثاق عن عقيدة الإسلام	٣١
الشمول	٣٤
الثبات	٣٩
الجمع بين الواقعية والمثالية	٤٠
الوسطية	٤١
الوحدة الرابعة: وسائل اكتساب الأخلاق	٤٤
التدريب العملي	٤٤
الجليس الصالح والبيئة الصالحة	٤٧
القدوة الحسنة	٥١
الضغط الاجتماعي	٥٥

سلطان الدولة ٥٧
الوحدة الخامسة: الإلزام والمسؤولية والجزاء الأخلاقي ٥٩
الإلزام الخُلُقي ٥٩
العوامل التي تعين على تحقيق الالتزام ٦٠
المسؤولية الخلقية ٦٦
الجزاء الأخلاقي ٧٠
الوحدة السادسة: نماذج لجوانب من أخلاق النبي ﷺ ٧٤
عبادة النبي ﷺ ٧٥
خلق النبي ﷺ في الدعوة ٧٨
رحمة النبي ﷺ ٨٠
صِدْقُ النبي ﷺ ٨٤
شجاعة النبي ﷺ ٨٧
عفو النبي ﷺ ٩٠
الوحدة السابعة: جوانب أخرى من أخلاق النبي ﷺ ٩٢
تواضع النبي ﷺ ٩٢
زهد النبي ﷺ ٩٥
صبر النبي ﷺ ٩٨
مزاح النبي ﷺ ١٠١
حياء النبي ﷺ ١٠٣
عدل النبي ﷺ ١٠٥
أخلاق النبي ﷺ مع أهله ١٠٨
أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال ١١٠
أخلاق النبي ﷺ مع الخدم ١١٢

هدي النبي ﷺ في الرفق بالحيوان ١١٥
الوحدة الثامنة: أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها ١١٨
تعريف المهنة ١١٨
تعريف الحرفة ١١٩
تعريف العمل ١٢٠
تعريف الصنعة ١٢١
تعريف الوظيفة ١٢٢
الحكم الشرعي للمهنة ١٢٣
تعريف أخلاق المهنة ١٢٤
مصادر أخلاق المهنة ١٢٥
الوحدة التاسعة: الأخلاق الجامعة للمهنة ١٣٠
خلق الطهارة المهنية ١٣١
شروط الطهارة المهنية ١٣٢
أدلة الطهارة المهنية ١٣٥
مظاهر الطهارة المهنية ١٣٦
الوحدة العاشرة: الاستقامة المهنية ١٣٨
شروط الاستقامة المهنية ١٣٩
أدلة الاستقامة المهنية ١٤٢
مظاهر الاستقامة المهنية ١٤٤
الوحدة الحادية عشرة: خلق التعاون المهني ١٤٨
شروط التعاون المهني ١٤٩
أدلة التعاون المهني ١٥٢
مظاهر التعاون المهني ١٥٤

الوحدة الثانية عشرة: خلق الأمانة المهنية	١٥٧
شروط الأمانة المهنية	١٥٨
أدلة الأمانية المهنية	١٦١
مظاهر الأمانة المهنية	١٦٣
الوحدة الثالثة عشر: خلق المحبة المهنية	١٦٨
أنواع المحبة	١٦٨
شروط المحبة المهنية	١٧١
أدلة المحبة المهنية	١٧٧
مظاهر المحبة المهنية	١٧٩
الوحدة الرابعة عشر: نماذج من مواثيق الشرف	١٨٣
ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم	١٨٤
المعلم وأداؤه المهني	١٨٨
المعلم وطلابه	١٨٩
المعلم والمجتمع	١٩١
الخاتمة	١٩٣
ملحق بتوضيح بعض الأسئلة التي يكثر السؤال عنها	١٩٦
نموذج أسئلة موضوعية حول الكتاب	٢٠٠
المصادر والمراجع	٢٠٦